

معاني الكلمات :

لا يفرنك : لا يخذل عنك عن الحقيقة .

تقلب : تصرف .

متاع قليل : نعمة زائلة .

بشس المهاد : بشس الفراش .

نزلاً : جزاء ، وتكرمة .

صابروا : غالبوا الأعداء في الصبر على

القتال . رابطوا : أقيموا بحدود بلادكم

مستعدين للجهاد .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم أن الإسلام قد سوى بين

الرجل والمرأة ولم يفرق بينهما إلا فيما

تتطلبه رسالة كل منهما في الحياة .

٢ - أن نحذر الانخداع بالكافرين

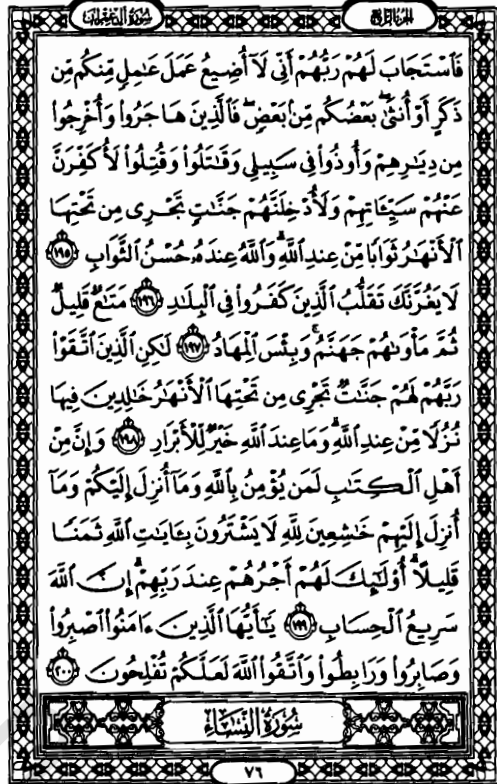
وعلوهم في الأرض ، فذلك لهم متاع قليل ثم مردهم إلى النار .

٣ - أن ندرك تكاليف الدعوة و صبر من صابر ورابط واتقى الله بغية نيل الفلاح .

المحتوى التربوي :

بعدما تفكر أولو الألباب في خلق السموات والأرض ، وتدبروا اختلاف الليل والنهار ، وتلقوا من كتاب الكون المفتوح ، واستجابات فطرتهم لإيحاء الحق المستكين فيه ، اتجهوا إلى ربهم بالدعاء الواجف الخاشع الطويل .. فجاءت الاستجابة على دعائهم المخلص الودود ..

ويقول صاحب الظلال : « لقد كانت قبولاً للدعاء ، وتوجيهاً إلى مقومات هذا المنهج الإلهي وتكاليفه في آن : إنه ليس مجرد التفكير ومجرد التدبر . وليس مجرد الخشوع والارتجاف . وليس مجرد الاتجاه إلى الله لتكفير السيئات والنجاة من الخزي من النار .. إنما هو العمل الإيجابي ، الذي ينشأ عن هذا التلقى ، وعن هذه الاستجابة ، وعن هذه الحساسية المثلثة في هذه الارتجافة . العمل يعتبره الإسلام عبادة كعبادة التفكير والتدبر ، والذكر والاستغفار ، والخوف من الله ، والتوجه إليه بالرجاء .. بل العمل الذي يعتبره الإسلام الثمرة الواقعية المرجوة لهذه العبادة ، والذي يقبل من الجميع : ذكرانا وإنائاً بلا تفرقة ناشئة من اختلاف الجنس . »



ثم تفصيل للعمل ، تبين منه تكاليف هذه العقيدة في النفس والمال ، كما تبين طبيعة المنهج ، وطبيعة الأرض التي يقوم عليها ، وطبيعة الطريق وما فيه من عوائق وأشواك ، وضرورة مغالبة العوائق ، وتكسير الأشواك ، وتمهيد التربة للنبذة الطيبة ، والتمكين لها في الأرض ، أيًا كانت التضحيات ، وأيًا كانت العقبات .. فهذا هو الطريق .. طريق المنهج الرباني ، الذي قدر الله أن يكون تحققه في واقع الحياة بالجهد البشري ، وعن طريق هذا الجهد ، وبالقدر الذي يبذله المؤمنون المجاهدون في سبيل الله . ابتغاء وجه الله .

ثم تلتفت الآيات التفاتة واقعية إلى الفتنة المستكنة في المتاع المتاح في هذه الأرض للكفار والعصاة والمعادين لمنهج الله . التفاتة لإعطاء هذا المتاع قيمته الصحيحة ، حتى لا يكون فتنة لأصحابه ، ثم كي لا يكون فتنة للمؤمنين ، الذين يعانون ما يعانون من أذى وإخراج من الديار وقتل وقتال .

ويقول صاحب الظلال : « وتقلب الذين كفروا في البلاد مظهر من مظاهر النعمة والوجدان ، ومن مظاهر المكانة والسلطان ، وهو مظهر يحيك في القلوب منه شيء لا محالة ، يحيك منه شيء في قلوب المؤمنين ؟ وهم يعانون الشظف والحрман ، والأذى والمشقة والمطاردة والجهاد بينما أصحاب الباطل ينعمون ويستمتعون ! ويحيك منه شيء في قلوب الجماهير الغافلة ، وهي ترى الحق وأهله يعانون هذا العناء ، والباطل وأهله في منجاة ، بل في مسلاة ! ويحيك منه شيء في قلوب الضالين المبطلين أنفسهم ؛ فيزيدهم ضلالاً وبطراً ولجأً في الشر والفساد » .

هنا تأتي هذه اللمسة أنه متاع قليل ، ينتهي ويذهب .. أما المأوى الدائم الخالد ، فهو جهنم .. وبئس المهاد ، وفي مقابل المتاع القليل الذاهب جنات ، وخلود ، وتكريم من الله وما يشك أحد يضع ذلك وذاك في كفة ، أن ما عند الله خير للأبرار ، إن الله سبحانه في موضع التربية ، وفي مجال إقرار القيم الأساسية في التصور الإسلامي لا يعد المؤمنين هنا بالنصر ، ولا يعدهم بقهر الأعداء ، ولا يعدهم بالتمكين في الأرض ، ولا يعدهم شيئاً من الأشياء في هذه الحياة مما يعدهم به في مواضع أخرى ، إنه يعدهم هنا شيئاً واحداً هو (ما عند الله) فهذا هو الأصل في هذه الدعوة ، ونقطة الانطلاق في هذه العقيدة : التجرد المطلق من كل هدف ومن كل غاية ، ومن كل مطمع حتى رغبة المؤمن في غلبة عقيدته وانتصار كلمة الله وقهر الأعداء ، حتى هذه الرغبة يريد الله أن يتجرد منها المؤمنون ، وتتخلص قلوبهم من أن تكون هذه الشهوة لها ولو كانت لا تخصها .

هذه العقيدة : عطاء ووفاء وأداء .. فقط وبلا مقابل من أعراض هذه الأرض ، وبلا مقابل كذلك من نصر وغلبة وتمكين واستعلاء ... ثم انتظار كل شيء هناك . ثم يقع النصر ، والتمكين والاستعلاء ، ولكن هذا ليس داخلياً في البيعة ؛ ليس جزءاً من الصفقة . ليس في الصفقة مقابل في هذه الدنيا . وليس فيها إلا الأداء والوفاء والعطاء .. والابتلاء ..

على هذا كانت البيعة والدعوة مطاردة في مكة ؛ وعلى هذا كان البيع والشراء أولم يمنح الله المسلمين النصر والتمكين والاستعلاء ؛ ولم يسلمهم مقاليد الأرض وقيادة البشرية ، إلا حين تجردوا هذا التجرد ، ووفوا هذا الوفاء .

وقبل ختام السورة يعود إلى أهل الكتاب ، فيقرر أن فريقاً منهم يؤمن بإيمان المسلمين ، وقد انضم إلى موكب الإسلام معهم وسار سيرتهم ، ولهم كذلك جزاؤهم . ويعددهم أجر المؤمنين عند الله - الذي لا يمثل المتعاملين معه - حاشاه !

ثم يأتي النداء العلوي الأخير للذين آمنوا . نداؤهم بالصفة التي تربطهم بمصدر النداء ، والتي تلقى عليهم هذه الأعباء ، والتي تؤهلهم للنداء وللأعباء وتكرمهم في الأرض كما تكرمهم في السماء وتلخص لهم أعباء المنهج وشروط : الطريق الصبر والمصابرة والمرابطة بالإقامة في مواقع الجهاد وفي الثغور المعرضة لهجوم الأعداء ، ولتكن التقوى المصاحبة لهذا كله . فهي الحارس اليقظ في الضمير يحرسه أن يغفل أو أن يضعف ، ويحرسه أن يعتدى ؛ ويحرسه أن يحميد عن الطريق من هنا ومن هناك . وهذا هو جماع التكليف التي تفرضها هذه الدعوة في عمومها .. ومن ثم يعلق الله بها عاقبة الشوط الطويل وينوط بها الفلاح في هذا المضمار .

يقول صاحب الأساس : « التربية من خلال التنبيه على الخطأ سمة من سمات القرآن ، ومن سمات التربية النبوية فليس هناك خطأ يسكت عنه ولكن لإصلاح الخطأ أسلوبه ، فخطأ الجماعة ، وخطأ الأفراد ، كل ذلك كان يعالج بالأساليب المناسبة ، ولقد كان جيل الصحابة أعظم جيل رباني عرفه هذا الهالم ؛ إذ لم يكن الخطأ الجماعي يتكرر مرتين ، ومن ثم نجد في القرآن دروس الحياة اليومية ، فقد سجل القرآن من وقائع الأحداث في حياة رسول الله ﷺ وأصحابه ، والحادثة التي تسجل تؤخذ دروسها ضمن سياق السورة ومضمونها ، وضمن السياق القرآني العام » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن زيادة المال ومتع الحياة ليست دليلاً على إكرام الله ورضاه ، وأن قلة المال ومتع الحياة ليست دليلاً على سخط الله وغضبه ؛ لأن متاع الدنيا قليل زائل ، والعبرة بما أعده الله من نعيم للمتقين .

٢ - حقيقة البيعة مع الله عطاء ووفاء وأداء .. دون انتظار غلبة ، أو نصر وتمكين أو استعلاء ، إنما ابتغاء مرضاة الله .

٣ - الصبر والمصابرة تربية للنفس على معالي الأخلاق ومكارمها ، وبغيرهما قلما يصلح دين إنسان أو دنياه .

٤ - الصبر ومغالبة الأعداء والرباط في سبيل الله وتقواه ، سبيل الفلاح والسعادة والنجاح في الدنيا والآخرة .

سورة النساء

معاني الكلمات :

بث منهما : نشر وفرق بينهما بالتنازل .
 حوباً : إثماً كبيراً . ألا تقسطوا : ألا تعدلوا .
 ما طاب لكم : ما حلّ لكم . أدنى ألا
 تعملوا : أقرب ألا تجوروا في النفقة وسائر
 الحقوق . صدقاتهن : مهرهن . نحلة :
 فريضة . هنيئاً مريئاً : طيباً سائغاً حلالاً .
 قياماً : قوام معاشكم .

ابتلوا اليتامى : اختبروهم في الاهتداء
 لحسن التصرف في أموالهم قبل البلوغ .
 أنستم : علمتم .

وبداراً أن يكبروا : مبادرين كبرهم
 ورشدهم .

فليستعفف : فليكف عن أكل أموالهم .
 حسيباً : محاسباً لكم ورقبياً .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نستشعر وحدة الأصل الإنساني .
- ٢ - أن نعرف واجبتنا تجاه اليتيم .
- ٣ - أن نتبين حكم الشرع في تعدد الزوجات والحكمة من ذلك .
- ٤ - أن نعرف بعض ضوابط الإنفاق ونظرة الإسلام للمال .

المحتوى التربوي :

في هذه السورة نجد بعض الملامح التي يتوخى المنهج الإسلامي إنشاءها في المجتمع المسلم ، بعد تطهيره من رواسب الجاهلية ، وإنشاء الأوضاع والتشريعات التنفيذية ، التي تكفل حماية هذه الملامح وتثبيتها في الواقع الاجتماعي .

وفي افتتاح السياق الأول يرد الناس إلى رب واحد ، وخالق واحد ؛ كما يردهم إلى أصل واحد ، وأسرة واحدة ، ويستجيش في النفس تقوى الرب ، ورعاية الرحم .. لتقييم على هذا الأصل الكبير كل تكاليف التكافل والتراحم في الأسرة الواحدة ، ثم في الإنسانية الواحدة .

ويقول صاحب الظلال : « إن هذه الحقائق تجلو للقلب والعين مجالاً فسيحاً لتأملات شتى :

١ - إنما ابتداء تذكر الناس بمصدرهم الذى صدروا عنه ؛ وتردهم إلى خالقهم الذى أنشأهم فى هذه الأرض . هذه الحقيقة التى ينساها الناس فينسبون كل شيء ! ولا يستقيم لهم بعدها أمر !

٢ - كما أنها توحى بأن هذه البشرية التى صدرت من إرادة واحدة ، تتصل فى رحم واحدة ، وتلتقى فى وشيجة واحدة ، وتنبت من أصل واحد ، وتتسبب إلى نسب واحد . ولو تذكر الناس هذه الحقيقة لتضاءلت فى حسهم كل الفروق الطارئة ، التى نشأت فى حياتهم متأخرة ففرقت بين أبناء النفس الواحدة ، ومزقت وشائج الرحم الواحدة . وكلها ملابسات طارئة ما كان يجوز أن تطفئ على مودة الرحم وحقها فى الرعاية ، وصلة النفس وحقها فى المودة ، وصلة الربوبية وحقها فى التقوى .

٣ - كذلك توحى بأن قاعدة الحياة البشرية هى الأسرة .. ولو شاء الله لخلق - فى أول النشأة - رجالاً كثيراً ونساء ، وزوجهم ، فكانوا أسراً شتى من أول الطريق . لا رحم بينها من مبدأ الأمر . ولا رابطة تربطها إلا صدورها عن إرادة الخالق الواحد .. ولكنه - سبحانه - شاء لأمر يعلمه أن يضاعف الوشائج ، وشيجة الربوبية ثم الرحم ثم الأسرة التى يقوم عليها نظام المجتمع الإنسانى بعد قيامه على أساس العقيدة .

ثم يردهم إلى تقوى الله .. واتقوا الله الذى تتعاقدون باسمه ، وتتعاقدون باسمه ، ويسأل بعضكم بعضاً الوفاء باسمه ، ويخلف بعضكم لبعض باسمه .. اتقوه فيما بينكم من الوشائج والصلات والمعاملات .

ويقول صاحب الظلال : « تقوى معهودة ومفهومة لتكرارها فى القرآن أما تقوى الأرحام ، فهى تعبير عجيب .. أرهفوا مشاعركم للإحساس بوشائجها والإحساس بحقها . وتوقى هضمها وظلمها ، والتخرج من خدشها ومسها .. توقوا أن تؤذوها وأن تجروها وأن تغضبوها ؛ لأن الله كان عليكم رقيباً وهو العليم الذى لا تخفى عليه خافية ، لا فى ظواهر الأفعال ولا فى خفايا القلوب » .

ومن هذا الافتتاح القوى المؤثر يأخذ السياق القرآنى إقامة الأسس التى ينهض عليها نظام المجتمع وحياته من التكافل فى الأسرة والجماعة ، والرعاية لحقوق الضعاف فيها ، والصيانة لحق المرأة وكرامتها ، والمحافظة على أموال الجماعة فى عمومها ، وتوزيع الميراث على الورثة بنظام يكفل العدل للأفراد والصالح للمجتمع .

ويقول صاحب الظلال : « ويبدأ فيأمر الأوصياء على اليتامى أن يردوا لهم أموالهم كاملة سالمة متى بلغوا سن الرشد . وألا ينكحوا القاصرات اللواتى تحت وصايتهم طمعاً فى أموالهن . أما السفهاء الذين يُخشى من إتلافهم للمال . إذا هم تسلموه ، فلا يُعطى لهم المال . لأنه فى الحقيقة مال الجماعة ، ولها فيه قيام ومصلحة ، فلا يجوز أن تسلمه لمن يفسد فيه ، وأن يراعوا العدل والمعروف فى عشرتهم للنساء عامة .

وتشى هذه التوصيات المشددة بما كان واقعاً في الجاهلية العربية من تضييع لحقوق الضعاف بصفة عامة . والأيتام بصفة خاصة .. هذه الرواسب التي ظلت باقية في المجتمع المسلم ... حتى جاء القرآن يذيبها ويزيلها .

ثم يأمرنا عز وجل بأن نعطي اليتامى أموالهم التي تحت أيدينا ، ولا نعطيهم الردىء في مقابل الجيد .. ، ولا نأكل أموالهم بضمها إلى أموالنا ، كلها أو بعضها .. لأن ذلك من كبائر الذنوب ، والله يحذرنا من الذنب الكبير .

ثم أرشدنا تعالى إلى ترك الزوج من اليتيمة إذا لم يعطها مهر المثل : أى إذا كانت تحت حَجَر أحدكم يتيمة وخاف ألا يعطيها مهر مثلها فليتركها إلى ما سواها فإن النساء كثير ولم يضيق الله عليه ، فليكنح ما شاء اثنتين وإن شاء ثلاثاً أو أربعاً ، وإن خاف من عدم العدل بين الزوجات فليلزم الاقتصار على واحدة ، أو يقتصر على نكاح الإماء لملك اليمين إذ ليس هن من الحقوق كما للزوجات وذلك أقرب ألا يميل أو يجور ، وليعط النساء مهورهن عطية عن طيب نفس فإن طابت نفوسهن بهبة شيء من الصداق فإن أكله مشروع وحلال .

ثم يعود السياق إلى أموال اليتامى ؛ يفصل في أحكام ردها إليهم ، وينهى عن تسليم المال للسفهاء منهم ، الذين لا يحسنون تدبير المال وتشميره ، فلا يحق لهم التصرف فيه والقيام عليه ، إنما يعود التصرف في مال الجماعة إلى من يحسن التصرف فيه من الجماعة مع مراعاة درجة القرابة لليتيم ، تحقيقاً للتكافل الاجتماعي ، وللشفية حق الرزق والكسوة في ماله مع حسن معاملته ، وفي حالة تبين الرشد تسلم إليهم أموالهم كاملة سالمة ، مع عدم المبادرة إلى أكلها بالإسراف قبل أن يكبر أصحابها فيتسلموها ، مع الاستعفاف عن أكل شيء منها مقابل القيام عليها - إذا كان الولي غنياً - والأكل منها في أضيق الحدود إذا كان الولي محتاجاً - مع وجوب الإشهاد في محضر التسليم .. وختام الآية : التذكير بشهادة الله وحسابه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم - أى أمة الإجابة وأمة الدعوة - مطالبون بتقوى الله إذا أرادوا لأنفسهم الخير في الدنيا والآخرة .

٢ - أن المجتمع الآمن المستقر هو المجتمع الذى يُرعى فيه الضعفاء من أيتام وصغار ونساء ، وتحفظ حقوقهم وتودى لهم تقرباً إلى الله أولاً ، وسعياً لتأمين المجتمع وتنقيته من الحقد والجريمة والظلم بعد ذلك .

٣ - صلة الأرحام أصل من أصول هذا الدين ورعايتها من أسباب البركة في الرزق والمنسأة في الأثر والزيادة في العمر ولنعلم حديثه ﷺ : « ليس الواصل بالملكافى ولكن الواصل الذى إذا انقطعت رحمه وصلها » .

٤ - أن نحذر كل الحذر من المساس بشيء من أموال اليتامى ، فالواجب صيانتها وردها كاملة سالمة لهم عند بلوغهم الرشد وإحسان التصرف فيها .

معاني الكلمات :

نصيب : حظ من تركة الميت .

مفروضاً : واجباً أو مقطوعاً محددأ .

قولاً سديداً : قولاً جليلاً أو صواباً وعدلاً .

ظلماً : بدون وجه حق .

سيصلون سعيراً : سيدخلون ناراً موقدة

هائلة . يوصيكم الله : يأمركم الله .

فريضة : مفروضة عليكم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

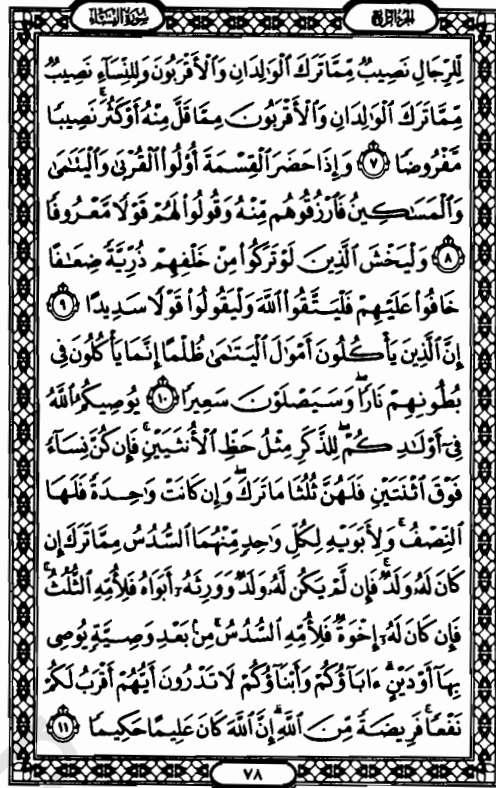
١ - أن نعرف موقف الإسلام من مبدأ

الميراث .

٢ - أن نعلم كيفية التصرف مع من

حضر القسمة من أولى القربى واليتامى

والمساكين .



٣ - أن نعرف كيف نحافظ على الذرية بعد الممات .

٤ - أن نعرف جزاء الاعتداء على مال اليتامى ونحذر المساس به .

المحتوى التربوي :

يواصل سياق الآيات حديثه عن إرساء قواعد المجتمع الإسلامي وتشريعاته في الأمور الحياتية الاقتصادية ، ويتنقل السياق من الحديث عن المال الخاص باليتامى إلى الميراث فيقرر أن للرجال والنساء نصيباً من تركة الأقرباء أى للأولاد والأقرباء حظ من تركة الميت ، كما للبنات والنساء حظ أيضاً . الجميع فيه سواء يستون في أصل الوراثه وإن تفاوتوا في قدرها ، وسببها أن العرب كانوا لا يورثون النساء والأطفال وكانوا يقولون : إنما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة ، فأبطل الله حكم الجاهلية سواء كانت التركة قليلة أو كثيرة ففرض نصيباً مفروضاً بشرعه العادل وكتابه المبين .

ولما كان نظام التوريث - يحجب فيه بعض ذوى القربى بعضاً ، فيوجد ذوو قرابة ، ولكنهم لا يرثون ؛ لأن من هم أقرب منهم سبقهم فحجبوهم ؛ فإن السياق يقرر لهم حقاً لا يحده إذا هم حضروا القسمة تطبيقاً لحاظهم - واحتفاظاً بالروابط العائلية ، ، والمودات القلبية . كذلك يقرر لليتامى والمساكين ، مثل هذا الحق تمشياً مع قاعدة التكافل العام .

ويقول صاحب الظلال : « وقبل أن يأخذ السياق في تحديد أنصبة الورثة ، يعود ليحذر من أكل أموال اليتامى .. يعود إليه في هذه المرة ليلمس القلوب لمستين قويتين :

أولاهما : تمس مكن الرحمة الأبوية والإشفاق الفطرى على الذرية الضعاف وتقوى الله الحسيب الرقيب .

والثانية : تمس مكان الرهبة من النار ، والخوف من السعير ، في مشهد حسى مفزع .. يصور صورة النار في البطون وصورة السعير في نهاية المطاف - لمن يأكل مال اليتيم - وإن مصيرهم لإلى النار فهي النار تشوى البطون والجلود وهي النار من ظاهر وباطن . هي النار مجسمة حتى لتكاد تحسها البطون والجلود ، وحتى لتكاد تراها العيون ، وهي تشوى البطون والجلود !

ثم ينتقل السياق إلى نظام التوارث . حيث يبدأ بوصية الله للوالدين في أولادهم؛ فتدل هذه الوصية على أنه - سبحانه - أرحم وأبر وأعدل من الوالدين مع أولادهم ؛ كما تدل على أن هذا النظام كله مرده إلى الله سبحانه ؛ فهو الذى يحكم بين الوالدين وأولادهم ، وبين الأقرباء وأقاربهم . وليس لهم إلا أن يتلقوا منه سبحانه ، وأن ينفذوا وصيته وحكمه وهذه الآيات تتضمن أصول علم الفرائض - أى علم الميراث - أما التفريعات فقد جاءت السنة ببعضها نصاً ، واجتهد الفقهاء في بقيتها تطبيقاً على هذه الأصول . وليس هنا مجال للدخول في هذه التفريعات والتطبيقات فمكانها كتب الفقه ، فنكتفى هنا بتفسير هذه النصوص ، والتعقيب على ما تضمنه من أصول المنهج الإسلامى .

يأمر الله ويعهد لعباده بالعدل في شأن ميراث الأولاد ، وهذه وصية تدل على أن الله - كما قلنا آنفاً - أرحم وأبر وأعدل من الوالدين مع أولادهم ، كما تدل على أن هذا النظام كله مرده إلى الله سبحانه وتعالى ، فإذا فرض لهم فإنها يفرض لهم ما هو خير مما يريد الوالدان بالأولاد وفرض الشرع للابن ميراثاً مثل نصيب البنتين وإن كان الوارث إنثاً فقط اثنتين فأكثر ﴿ فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ ﴾ أى فللبنتين ثلثا التركة ﴿ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ﴾ أى وإن كانت الوارثة بنتاً واحدة فلها نصف التركة .

ولقد بدأ تعالى بذكر ميراث الأولاد . ثم ذكر ميراث الأبوين ؛ لأن الفرع مقدم في الأثر على الأصل فقال تعالى : ﴿ وَلِلْأَبَوَيْنِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ ﴾ أى للآب الشدس وللأم الشدس ﴿ مِمَّا تَرَكَ ﴾ أى من تركه الميت ﴿ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ أى إن وجد للميت ابن أو بنت ؛ لأن الولد يطبق على الذكر والأنثى ﴿ فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ ﴾ أى فإن لم يوجد للميت أولاد وكان الوارث أبويه فقط ، أو معهما أحد الزوجين ﴿ فَلِلْأُمِّهِ الثُّلُثُ ﴾ أى فللأم ثلث المال أو ثلث الباقي بعد فرض أحد الزوجين والباقي للآب ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْأُمِّهِ الشُّدُسُ ﴾ أى فإن وجد مع

الأبوين إخوة للميت اثنان فأكثر فالأُم ترث حينئذ السدس فقط والباقي للأب ، والحكمة أن الأب مكلف بالنفقة عليهم دون أمهم فكانت حاجته إلى المال أكثر ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيٍّ يُوصِي بِهَا أَوْ ذَنْبٍ ﴾ أى : إن حق الورثة يكون بعد تنفيذ وصية الميت وقضاء ديونه فلا تقسم التركة إلا بعد ذلك .

﴿ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنْ رَبِّ اللَّهِ ﴾ أراد الله سبحانه وتعالى أن يسكب في القلوب راحة الرضا والتسليم لأمر الله ، ولما يفرضه الله ، بإشعارها أن العلم كله لله ، وأنهم لا يدرون أى الأقرباء أقرب لهم نفعاً ، ولا أى القسم أقرب لهم مصلحة ، وأن القضية ليست مسألة هوى أو مصلحة قربية ، إنما هى مسألة الدين ومسألة الشريعة ﴿ فَرِيضَةٌ مِنْ رَبِّ اللَّهِ ﴾ أى إنه تعالى تولى قسمة الموارث بنفسه وفرض الفرائض على ما علمه من الحكمة ، فقسم حيث توجد المصلحة وتتوفر المنفعة ولو ترك الأمر إلى البشر لم يعلموا ما هو أنفع لهم فيضعون الأموال على غير حكمة ولهذا أتبعه بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ أى إنه عليم بما يصلح لخلقه حكيم فيما شرع وفرض .

يقول صاحب الظلال فى قوله تعالى : ﴿ فَرِيضَةٌ مِنْ رَبِّ اللَّهِ ﴾ : « فالله هو الذى خلق الآباء والأبناء والله هو الذى أعطى الأرزاق والأموال . والله هو الذى يفرض ، وهو الذى يقسم ، وهو الذى يشرع . وليس للبشر أن يشرعوا لأنفسهم ، ولا أن يحكموا هواهم ، كما أنهم لا يعرفون مصلحتهم ! » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - تقرير الإسلام لمبدأ الميراث ، إنما شرع لحفظ الحقوق ، وتوثيق المودات ، والبر والصلة للأبناء والأرحام والأقارب .

٢ - وجوب الإحسان إلى اليتامى ، والخشية عليهم كما يخشى على أولاده من بعده ، مع عدم المساس بأموالهم وصيانتها ، وإحاطتهم بالعطف والحنان .

٣ - الله تعالى - أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، فلقد أوصى الوالدين بأولادهم .

٤ - إن الله تعالى تولى قسمة التركات بنفسه فلا يحل لأحد أن يغير منها شيئاً .

٥ - وجوب النصيح والإرشاد للمحتضر حتى لا يجور فى وصيته عند موته .

٦ - استحباب إعطاء من حضر قسمة التركة من الأقارب واليتامى والمساكين وإن تعذر إعطاؤهم صُرفوا بالكلمة الطيبة ، وفى الحديث : « الكلمة الطيبة صدقة » .

معانى الكلمات :

كلالة : ميتاً لا ولد له ، ولا والد .

غير مضار : للمصلحة لا بقصد الإضرار بالورثة .

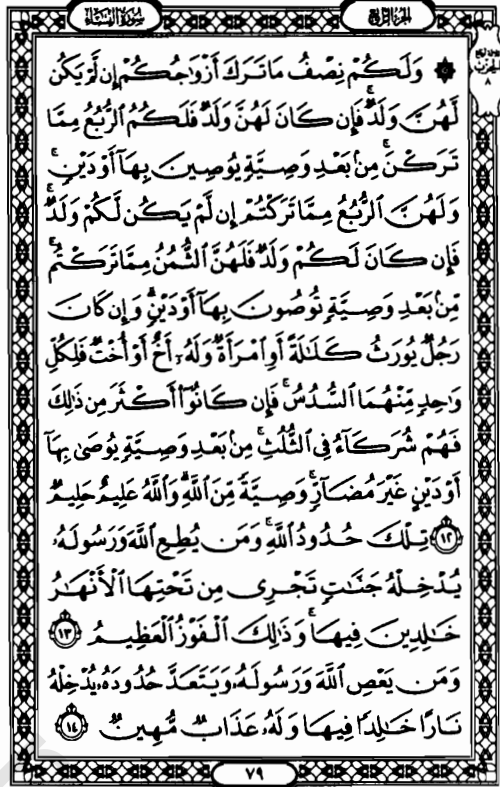
حدود الله : شرائعه وأحكامه المفروضة .
ويتعد حدوده : يتجاوز ما أمره الله تعالى به من الطاعات .

عذاب مهين : عذاب شديد مع المهانة والإذلال .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١- أن نعلم أن مسائل وأنصبة الموارث نص لا اجتهاد فيه ولا هوى .

٢- أن نعرف موقع الوصية من التركة .



٣- أن نعرف معنى الكلاله .

٤- أن نوضح حكمة الإسلام في تشريعه الحكيم لأموال الموارث .

المحتوى التربوى :

يستأنف السياق القرآنى الحديث عن مسائل الميراث وأنصبة الورثة فيذكر ميراث الزوج والزوجة فيقول : ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ﴾ أى ولكم أيها الرجال نصف ما ترك أزواجكم من المال إن لم يكن لزوجاتكم أولاد منكم أو من غيركم ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ ﴾ أى من ميراثهن ، وألحق بالولد في ذلك ولد الابن بالإجماع ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْصِيَنَّ بِهِمَا أَوْ دِينَ ﴾ أى من بعد الوصية وقضاء الدين ﴿ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ ﴾ أى ولزوجاتكم واحدة فأكثر الربع مما تركتم من الميراث إن لم يكن لكم ولد منهن أو من غيرهن .

﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ ﴾ أى فإن كان لكم ولد منهن أو من غيرهن - وكذلك أبناء ابن الصلب - فلزوجاتكم الثمن مما تركتم من المال ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْصُونَ بِهِمَا أَوْ دِينَ ﴾ وفى تكرير ذكر الوصية والدين من الاعتناء بشأنها ما لا يخفى .

﴿ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً ﴾ أى وإن كان الميت يورث كلاله أى لا والد له ولا ولد وورثه أقاربه البعيدون لعدم وجود الأصل أو الفرع ﴿ أَوْ أَمْرَأَةً ﴾ عطف على رجل والمعنى أو امرأة تورث كلاله ﴿ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ﴾ أى وللمورث أخ أو أخت من أم ﴿ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ﴾ أى فلالخ من الأم السدس وللأخت من الأم السدس أيضاً.

﴿ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ ﴾ أى فإن كان الإخوة والأخوات من الأم أكثر من واحد فإنهم يقتسمون الثلث بالسوية ذكورهم وإناثهم فى الميراث سواء ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾ أى بقصد أن تكون الوصية للمصلحة لا بقصد الإضرار بالورثة أى فى حدود الوصية بالثلث لقوله ﷺ : « الثلث والثلث كثير » ﴿ وَصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ أى أوصاكم الله بذلك وصية ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ أى عالم بما شرع ، حلیم لا يعاجل بالعقوبة لمن خالف أمره .

ثم يعقب الله تعالى تعقيباً نهائياً على تلك الوصايا والفرائض ، حيث يسميها الله سبحانه وتعالى بالحدود ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ أى تلك الأحكام المذكورة شرائع الله التى حدّها لعباده ليعملوا بها ولا يعتدوها ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ أى من يطع ما أمر الله فيها حكم وأمر رسوله فيما بيّن فلم يزد بعض الورثة ولم ينقص بعضهم بحيلة أو وسيلة بل تركهم على حكم الله وفريضته وقسمته ، يدخله الله جنات النعيم التى تجرى من تحت أشجارها وأبنتها الأنهار ماكين فيها أبداً وذلك هو الفلاح العظيم ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُجْعَلْ مَخْلَداً فِي نَارِ جَهَنَّمَ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَداً وَلَهُ عَذَابٌ شَدِيدٌ مِنَ الْإِهَانَةِ وَالْإِذْلَالِ وَالْعَذَابِ .

هل الدين مقدم على الوصية وما هى حدود الوصية ؟ وهل تجوز الوصية لو ارث ؟

قال ابن كثير فى التفسير : « أجمع علماء السلف والخلف على أن الدين مقدم على الوصية ، وتقديم الدين مفهوم واضح لأنه يتعلق بحق الآخرين . فلا بد من استيفائه من مال المورث الذى استدان ما دام قد ترك مالا ، توفية بحق الدائن وتبرئة لذمة المدين . وقد شدد الإسلام فى إبراء الذمة من الدين ، عن أبى قتادة ؓ قال : قال رجل : يا رسول الله ، أرأيت إن قتل فى سبيل الله أتكفر عنى خطاياى ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم إن قتل وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر » ثم قال : « كيف قلت ؟ » فأعاد عليه فقال : « نعم إلا الدين . فإن جبريل أخبرنى بذلك » أخرجه مسلم ومالك والترمذى والنسائى .

وعن أبي قتادة كذلك : أتى النبي ﷺ برجل ليصلى عليه فقال ﷺ : « صلوا على صاحبكم فإن عليه ديناً » فقلت : هو على يارَسُولَ اللَّهِ . قال : « بالفاء » قلت : بالفاء ، فصلى عليه .

وأما الوصية فلأن إرادة الميت تعلقت بها . وقد جعلت الوصية لتلافي بعض الحالات التي يحجب فيها بعض الورثة بعضاً ، وقد يكون المحجوبون معذورين ، أو تكون هناك مصلحة عائلية في توثيق العلاقات بينهم وبين الورثة ، وإزالة أسباب الحسد والنزاع قبل أن تنبت ، ولا وصية لو ارث ، ولا وصية في غير الثلث ، وفي هذا ضمان ألا يحجب المورث بالورثة في الوصية .

ولبيان خطورة الوصية على صاحبها نذكر هنا الحديث المروى عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة ، فإذا أوصى وحاف في وصيته فيختم له بشر عمله ، فيدخل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة » قال : ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٠﴾ .

ما المقصود بالكلالة ؟

سئل أبو بكر ؓ عن الكلالة فقال : أقول فيها برأى فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمضى ومن الشيطان . والله ورسوله بريتان منه : الكلالة من لا ولد له ولا والد . فلما ولى عمر قال : إني لأستحي أن أخالف أبا بكر في رأى رآه [رواه ابن جرير وغيره] .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - أن الله تعالى تولى قسمة الميراث والتركات بنفسه فلا يحل لأحد أن يغير منها شيئاً .
- ٢ - أن شرع الله ونظامه ومنهجه واجب التنفيذ والالتزام ، وأن المؤمن مطالب بطاعة الله تعالى فيما أمره به وفيما نهاه عنه ، وأن الله تعالى يجزى على هذه الطاعة خير الجزاء ، وذلك بجنتان تجرى من تحتها الأنهار مع خلود فيها إلى أبد الآبدين .
- ٣ - أن طاعة رسول الله ﷺ فيما بلغ عن ربه سبحانه وتعالى من طاعة الله تعالى فهي واجبة يثاب على فعلها ، ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ وكذلك لقلوه : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ .
- ٤ - معصية الله ورسوله إثم ومعصية وتخريب لنظام الحياة وإشاعة للظلم وحرمان أصحاب الحقوق من حقوقهم ؛ وتضييع للمرأة والأسرة وحقوقها ؛ لذا كان جزاء ذلك الخلود في جهنم والعذاب المهين .

معانى الكلمات :

الفاحشة : كل ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال والمقصود الزنا . فأمسكوهن : فاحبسوهن . سبيلاً : خلاصاً بالزواج أو إقامة الحد . واللذان : الذكر والأنثى .

بجهالة : بسفاهة . أعتدنا : هيأنا .

لا تعضلوهن : لا تمسكوهن مضارة لهن .

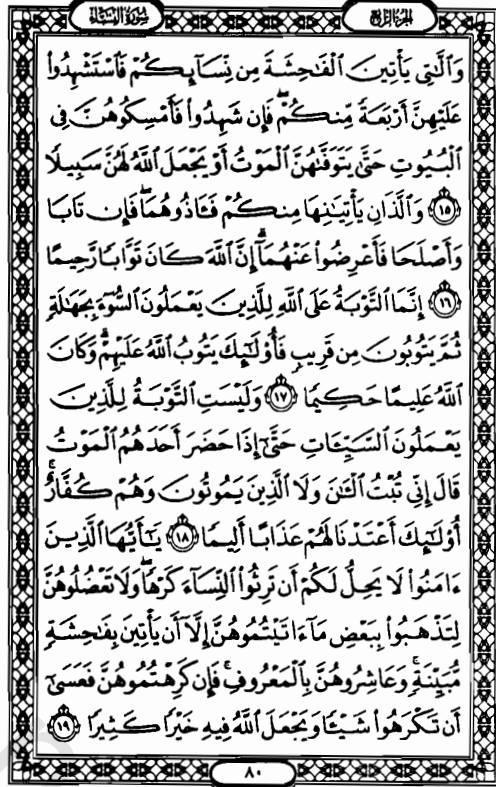
فاحشة مبينة : النشوز وسوء الخلق ، أو الزنا .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم عظم قبح فاحشة الزنا فلا نقر به ؛ لأنه كان فاحشة وساء سبيلاً .

٢ - أن نعلم التوبة بشروطها المقبولة ، ومتى لا تقبل من العبد .

٣ - أن نعلم أن الحدود شرعت لصيانة



المجتمع وتأمينه من التلوث الأخلاقي والانحراف والهلاك .

المحتوى التربوى :

يستأنف السياق القرآنى تنظيمه لحياة المجتمع المسلم ، واستنقاذه من رواسب الجاهلية ، بتطهير هذا المجتمع من الفاحشة ، وعزل العناصر الملوثة التى تقارفها ، من الرجال والنساء ، مع فتح باب التوبة لمن يشاء من هذه العناصر أن يتوب ويتطهر ، ويرجع إلى المجتمع عفيفاً نظيفاً ، ثم باستنقاذ المرأة مما كانت تترشح تحته فى الجاهلية من خسف وهوان ، ومن عسف وظلم ، حتى تقوم الأسرة على أساس سليم ركين .

ويقول صاحب الظلال : « إن الإسلام يمضى هنا على طريقه فى تطهير المجتمع وتنظيفه ؛ وقد اختار - فى أول الأمر - عزل الفاحشات من النسوة ، وإبعادهن عن المجتمع ، متى ثبت عليهن ارتكاب الفاحشة . وإيذاء الرجال ، الذين يأتون الفاحشة الشاذة ، ويعملون عمل قوم لوط ، ولم يحدد نوع الإيذاء ومداه ثم اختار - فيما بعد - عقاب هؤلاء النسوة وعقاب الرجال أيضاً عقوبة واحدة هى حد الزنا كما ورد فى آية سورة النور ، وهى الجلد ، وكما جاءت بها السنة أيضاً ، وهى الرجم . والهدف الأخير من هذه أو تلك هو صيانة المجتمع من التلوث ، والمحافظة عليه نظيفاً عفيفاً شريفاً .

وفي كل حالة وفي كل عقوبة يوفر التشريع الإسلامى الضمانات ، التى يتعذر معها الظلم والخطأ والأخذ بالظن والشبهة ؛ فى عقوبات خطيرة ، تؤثر فى حياة الناس تأثيراً خطيراً . فهو يحدد النساء اللواتى ينطبق عليهن الحد ، ويحدد نوع الرجال الذين يستشهدون على وقوع الفعل ، وبعد تشريع العقاب المطهر من الفاحشة يشرع التوبة والإصلاح .

وهى كما يقول صاحب الظلال : « تعديل أساس فى الشخصية والكينونة والوجهة والطريق والعمل والسلوك . ومن ثم تقف العقوبة ، وتكف الجماعة عن إيذاء هذين المنحرفين الشاذين . وهذا هو الإعراض عنها فى هذا الموضع : أى الكف عن الإيذاء .

ويقول صاحب الظلال : عن الإيذاء اللطيفة فى التشريع بالتعقيب بأن الله كان تواباً رحيماً ، توجيه قلوب العباد للتوبة يقول : الذى شرع العقوبة ، هو الذى يأمر بالكف عنها عند التوبة والإصلاح . ليس للناس من الأمر شئ فى الأولى ، وليس لهم شئ فى الأخيرة ، إنها هم ينفذون شريعة الله وتوجيهه . وهو تواب رحيم يقبل التوبة ويرحم التائبين .

واللمسة الثانية فى هذه الإيلاء ، هى توجيه قلوب العباد للاقتباس من خلق الله والتعامل فيما بينهم بهذا الخلق . وإذا كان الله تواباً رحيماً ، فينبغى لهم أن يكونوا هم فيما بينهم متسامحين رحماً ؛ أمام الذنب الذى سلف ، وأعقبه التوبة والإصلاح . إنه ليس تسامحاً فى الجريمة ، وليس رحمة بالفاحشين ، فهنا لا تسامح ولا رحمة . ولكن سماحة ورحمة بالتائبين المتطهرين المصلحين ، وقبولهم فى المجتمع ، وعدم تذكيرهم وتعييرهم بما كان منهم من ذنب تابوا عنه ، وتطهروا منه ، وأصلحو حالهم بعده ، فينبغى - حينئذ - مساعدتهم على استئناف حياة طيبة نظيفة كريمة ، ونسيان جريمتهم حتى لا تثير فى نفوسهم التأذى كلما واجهوا المجتمع بها ، مما قد يحمل بعضهم على الانتكاس ، والارتكاس ، واللجاج فى الخطيئة ، وخسارة أنفسهم فى الدنيا والآخرة . والإفساد فى الأرض وتلويث المجتمع ، والنقمة عليه فى ذات الأوان .

وقد عدلت هذه العقوبة كذلك - فيما بعد - فروى أهل السنن حديثاً مرفوعاً عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من رأيتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » .

وتبدو فى هذه الأحكام عناية المنهج الإسلامى بتطهير المجتمع المسلم من الفاحشة ؛ ولقد جاءت هذه العناية مبكرة : فالإسلام لم ينتظر حتى تكون له دولة فى المدينة ، وسلطة تقوم على شريعة الله ، وتتولاها بالتنفيذ ، فقد ورد النهى عن الزنا فى سورة الإسراء المكية : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ كما ورد النهى فى سورة المؤمنون : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ ٠٠ وكرر هذا القول فى سورة المعارج .

ولكن الإسلام لم تكن له في مكة دولة ، ولم تكن له فيها سلطة ؛ فلم يسن العقوبات لهذه الجريمة التي نهى عنها في مكة ، إلا حين استقامت له الدولة والسلطة في المدينة ، ولم يعتبر النواهي والتوجيهات وحدها كافية لمكافحة الجريمة ، وصيانة المجتمع من التلوث ، لأن الإسلام دين واقعي ، يدرك أن النواهي والتوجيهات وحدها لا تكفي ، ويدرك أن الدين لا يقوم بدون دولة وبدون سلطة . وأن الدين هو المنهج أو النظام الذي تقوم عليه حياة الناس العملية ، وليس مجرد مشاعر وجدانية تعيش في الضمير ، بلا سلطة وبلا تشريع ، وبلا منهج محدد ، ودستور معلوم .

على أن الإسلام لا يُغلق الأبواب في وجه الخاطئين والخطائات ، ولا يطردهم من المجتمع إن أرادوا أن يعودوا إليه متطهرين تائبين ، بل يفسح لهم الطريق - ويشجعهم على سلوكه ، ويبلغ من التشجيع أن يجعل الله قبول توبتهم - متى أخلصوا فيها - حقاً عليه سبحانه يكتبه على نفسه بقوله الكريم . وليس وراء هذا الفضل زيادة لمستزيد .

ثم إن التوبة التي يقبلها الله ، والتي تفضل فكتب على نفسه قبولها هي التي تصدر من النفس ، فتدل على أن هذه النفس قد أنشئت نشأة أخرى . قد هزها الندم من الأعماق ، ورجها رجاً شديداً حتى استفاقت فتابت وأتابت ، وهي في فسحة من العمر ، وبحبوحة من الأمل ، واستجدت رغبة حقيقية في التطهر ، ونية حقيقية في سلوك طريق جديد .. وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال : إني تبت الآن ، فهذه التوبة هي توبة المضطر ، توبة الذي يتوب لأنه لم يعد لديه متسع لارتكاب الذنوب ولا فسحة لمقارفة الخطيئة . وهذه لا يقبلها الله ؛ لأنها لا تنشئ صلاحاً في القلب ولا صلاحاً في الحياة .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن العدل والأمان أن تكون لكل جريمة عقوبة تناسبها ، وأن العقوبات التي وضعها لتلك الجرائم هي أنسب العقوبات ؛ لأن واضعها هو رب الناس وخالقهم وراحمهم الذي سخر لهم ومن أجلهم ما في السموات والأرض .

٢ - أن قبول الله لتوبة التائبين تعني أن يتخلق المسلمون فيما بينهم بالتسامح والعفو ، فلا أحد أغير من الله عز وجل ، وإذا كان سبحانه يعفو عمن عصاه وخالف منهجه وانتهك محارمه ، إذا تاب وندم وعزم على ألا يعود لخطئه ، فإنه أحرى بالمسلمين أن يكون هذا سلوكهم .

٣ - التوبة التي تفضل الله بها هي ما كان صاحبها أتى ما أتى من الذنوب بجهالة لا بعلم وإصرار ثم تاب من قريب زمن .

٤ - لا تقبل توبة من حشرجت نفسه وظهرت عليه علامات الموت ، وكذا الكافر من باب أولى لا تقبل له توبة بالإيمان إذا عاين علامات الموت كما لم تقبل توبة فرعون عند الغرق .

معانى الكلمات :

بهتاناً : باطلاً ، وظلماً .

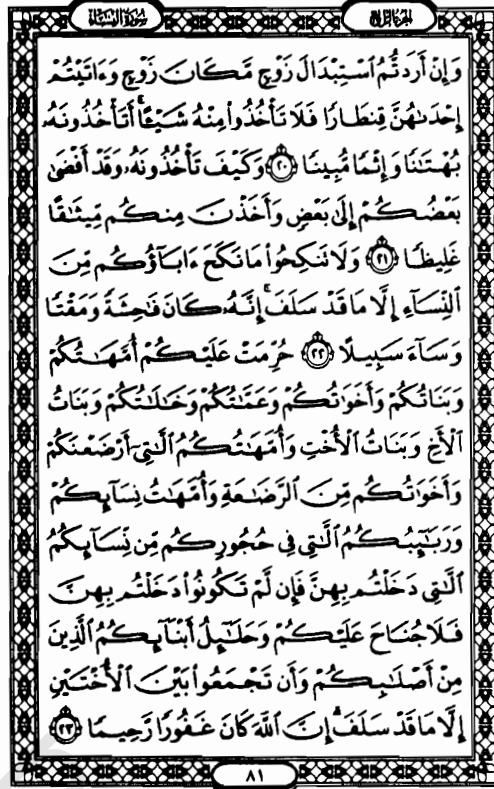
أفضى بعضكم إلى بعض : وصل ، بالجماع
أو الخلوة الصحيحة . ميثاقاً غليظاً : عهداً
مؤكداً . مقتاً : مبعوضاً مستحقراً جداً .

ربائبكم : بنات زوجاتكم من غيركم .

فلا جناح عليكم : فلا إثم عليكم . حلالل
أبنائكم : زوجات أبنائكم .

الذين من أصلابكم : أى أبنائكم الحقيقيون
لا أبنائكم بالتبني .

تجمعوا بين الأختين : أى فى الزواج منها
معاً .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نتعامل مع المرأة وفق المكانة اللاتقة التى رفعها الإسلام إليها .
- ٢ - أن نحسن معاملة الزوجة . كما أمر الله ورسوله .
- ٣ - أن نعلم أنه ليس لأحد أن يحل أو يحرم سوى الله سبحانه وتعالى .

المحتوى التربوى :

هذا الدرس يتحدث عن المرأة ، تواصل مع المبدأ العام الذى افتتح به السورة ليرفع مستوى المشاعر الإنسانية فى الحياة الزوجية من المستوى الحيوانى الهابط إلى المستوى الإنسانى الرفيع . ويظلله بظلال الاحترام والمودة والتعاطف والتجمل ؛ وليوثق الروابط والوشائج ، فلا تنقطع عند الصدمة الأولى ، وعند الانفعال الأول .

والحكمة وراء هذا التغيير هو سوء معاملة الجاهلية العربية للمرأة .. فلم تعرف لها حقوقاً ونزلت بها دون منزلة الرجل نزولاً شنيعاً ، جعل منها سلعة تباع وتشترى ، وذلك فى الوقت الذى تتخذ منها تسلية ومتعة بهيمية ، وتطلقها فتنة للنفوس ، وإغراء للغرائز ، ومادة للتشهى والغزل العارى المكشوف فجاء الإسلام ليرفع عنها هذا كله ، ويردها إلى مكانها الطبيعى فى كيان الأسرة وإلى دورها الجدى فى نظام الجماعة البشرية .

فحرم الإسلام وراثه المرأة كما تورث السلعة والبهيمة ، كما حرم العضل الذى تسامه المرأة ، ويتخذ أداة للإضرار بها - إلا فى حالة الإتيان بالفاحشة ، وذلك قبل أن يتقرر حد الزنا المعروف - وجعل للمرأة حريتها فى اختيار من تعاشره ابتداءً أو استئنافاً . بكرة أم ثيباً مطلقة أو متوفى عنها زوجها . وجعل العشرة بالمعروف فريضة على الرجال - حتى فى حالة كراهية الزوج لزوجته ما لم تصبح العشرة متعذرة - وتنسم فى هذه الحالة نسمة الرجاء فى غيب الله وفى علم الله . كى لا يطاوع المرء انفعاله الأول ، فبيت وشبيجة الزوجية العزيزة فما يدرى أن هنالك خيراً فيها يكره ، هو لا يدرى . خيراً مخبوءاً كامناً ، لعله إن كظم انفعاله واستبقى زوجته سيلاقيه .

ويقول صاحب الظلال : « والإسلام الذى ينظر إلى البيت بوصفه سكناً وأمنًا وسلاماً ، وينظر إلى العلاقة بين الزوجين بوصفها مودة ورحمة وأنساً ، ويقىم هذه الأصرة على الاختيار المطلق ، كى تقوم على التجاوب والتعاطف والتحاب .. هو الإسلام ذاته الذى يقول للأزواج : ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ كى يستأنى بعقدة الزوجية فلا تفصم لأول خاطر ، وكى يستمسك بعقدة الزوجية فلا تنفك لأول نزوة ، وكى يحفظ لهذه المؤسسة الإنسانية الكبرى جديتها فلا يجعلها عرضة لنزوة العاطفة المتقلبة ، وحمقة الميل الطائر هنا وهناك » .

ثم يتناول النص التشريعى المحرمات من النساء ، وهى خطوة فى تنظيم الأسرة ، وفى تنظيم المجتمع على السواء ، ولم يذكر النص علة التحريم - لا عامة ولا خاصة - فكل ما يذكر من علل ، إنها هو استنباط ورأى وتقدير ، وهذه المحرمات كلها كانت محرمة فى عرف الجاهلية فيها عدا حالتين اثنتين : ما نكح الآباء من النساء ، والجمع بين الأختين فقد كانتا جائزتين - على كراهة من المجتمع الجاهلى . ولكن الإسلام - وهو يحرم هذه المحارم كلها لم يستند إلى عرف الجاهلية فى تحريمها . إنما حرمها ابتداءً ، مستنداً إلى سلطانه الخاص وجاء النص : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ ... إلخ .

والأمر فى هذا ليس أمر شكلية ؛ إنما هو أمر هذا الدين كله . وإدراك العقدة فى هذا الأمر هو إدراك لهذا الدين ، وللأصل الذى يقوم عليه : أصل الألوهية وإخلاصها لله وحده .

إن هذا الدين يقرر أن التحليل والتحريم هو من شأن الله وحده ، لأنها أخص خصائص الألوهية ، فلا تحريم ولا تحليل بغير سلطان من الله . فالله وحده - هو الذى يحل للناس ما يحل ، ويحرم على الناس ما يحرم . وليس لأحد غيره أن يشرع فى هذا وذاك ، وليس لأحد أن يدعى هذا الحق .. لأن هذا مرادف تماماً لدعوى الألوهية !

ومن ثم فإن الجاهلية تحرم أو تحلل ، فيصدر هذا التحريم والتحليل عنها باطلاً بطلاناً أصلياً ، غير قابل للتصحيح ، لأنه لا وجود له منذ الابتداء . فإذا جاء الإسلام إلى ما أحلت الجاهلية أو

حُرِّمَتْ ، فهو يحكم ابتداء بطلانه كلية بطلاناً أصلياً ، ويعتبره غير قائم . بما أنه صادر من جهة لا تملك إصداره - لأنها ليست إلهاً - ثم يأخذ هو في إنشاء أحكامه إنشاءً .

ويقول صاحب الظلال : « هذه النظرية الإسلامية في الحل والحرمة تشمل كل شيء في الحياة الإنسانية ، ولا يخرج عن نطاقها شيء في هذه الحياة .. إنه ليس لأحد غير الله أن يحل أو يحرم ، في نكاح ، ولا في طعام ، ولا في شراب ، ولا في لباس ، ولا في حركة ، ولا في عمل ، ولا في عقد ، ولا في تعامل ، ولا في ارتباط ، ولا في عرف ، ولا في وضع ، إلا أن يستمد سلطانه من الله ، حسب شريعة الله » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - لا يجوز للرجال أن يضيّقوا على النساء بسوء المعاشرة حتى يضطروهن إلى أن يفدين أنفسهن ، ويطلبن الطلاق في مقابل بعض الأموال أو التنازل عن حقوقهن المشروعة أو عن بعضها .

٢ - تحريم مناكح الجاهلية إلا ما وافق الإسلام منها ، وخاصة أزواج الآباء فزوجة الأب محرمة على الابن ولو لم يدخل بها الأب وطلقها أو مات عنها .

٣ - أن الالتزام بالاستجابة لله تعالى فيما أحل وفيما حرّم هو تسليم بأن اختيار الله لعباده أحسن وآمن من اختيارهم لأنفسهم ، وأن في اختيار الله لعباده نظماً وحكمة جليلة ومصلحة أكيدة في دعم العلاقات الاجتماعية .

٤ - أن منهج الله وشريعته وأحكامه تستهدف استقرار الأسرة والمجتمع ، وإحاطة العلاقة بين الزوجين بالنظم والقوانين التي تحفظ لكل منهما حقوقه تجاه الآخر وتلزمه بأداء واجباته نحوه .

٥ - أن من الواجب الذي فرضه الله تعالى على الزوج أن يحسن عشرة زوجته حتى لو كرهها أو كره الاستمرار معها في حياته ، فإنه على الرغم من ذلك مطالب بأن يعاملها بالمعروف .

٦ - أن الله تعالى . من أجل بناء أسرة مسلمة نقية الأخلاق والأحساب والأنساب - قد حرّم الزواج من عدد من النساء حصرهن العلماء في أربعة عشر نوعاً من النساء هن :

الأم والبنت والأخت والعمة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخت ، والأم من الرضاعة والأخت من الرضاعة ، وأم الزوجة ، وبنت الزوجة بشرط أن يكون قد دخل بالأم ، وزوجة الابن من الصلب ، والجمع بين الأختين ، وكل متزوجة من النساء .

معاني الكلمات :

المحصنات : المتزوجات . محصنين غير مسافحين : أعفاء ، بعيدين عما لا يحل لهم .

أجورهن : مهرهن . لا جناح عليكم : لا إثم ولا حرج عليكم . طولاً : فضلاً .

وزيادة وغنى وسعة . أن ينكح : أن يتزوج . المحصنات المؤمنات : الحرائر المسلمات .

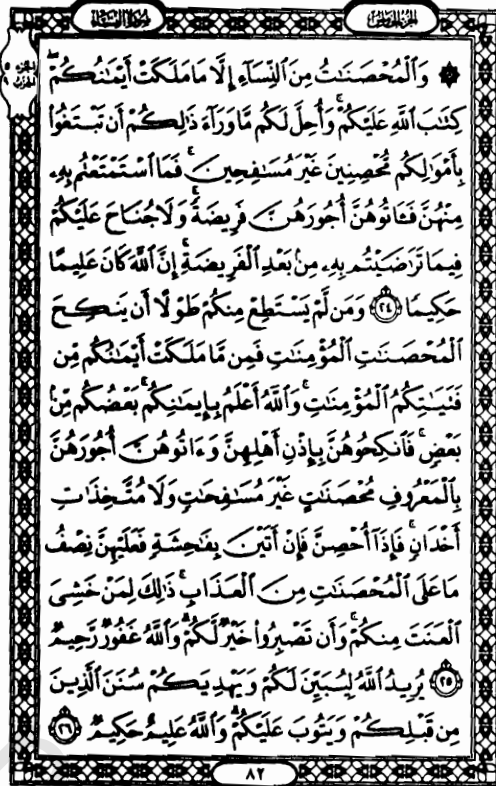
فتياتكم : إمائكم .

غير مسافحات : غير مجاهرات بالزنا .

متخذات أخدان : مصاحبات أصدقاء للزنا سراً .

خشى العنت : خاف الزنا والإثم .

سنن : مناهج وطرائق .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان يُسر الإسلام وسماحته في نظام الزواج إعفاً للمسلمين .

٢ - بيان الحكمة من الزواج في الإسلام .

٣ - بيان مئة الله على عباده المؤمنين في التشريع والتعليل للأحكام .

المحتوى التربوي :

بعد بيان المحرمات من النساء حرمة ذاتية ، يأتي بيان المحرمات اللاتي في عصمة رجال آخرين لأنهن محصنات بالزواج منهم : فهن محرمات على غير أزواجهن ، لا يحل نكاحهن ... وذلك تحقيقاً للقاعدة الأولى في نظام المجتمع الإسلامي ، من قيامه على قاعدة الأسرة ، وجعلها وحدة المجتمع ، وصيانة هذه الأسرة من كل شائبة ، ومن كل اختلاط في الأنساب ، ينشأ من «شيعوية» الاتصال الجنسي ، أو ينشأ من انتشار الفاحشة ، وتلوث المجتمع بها .

ومما يلاحظ أن معظم المحرمات التي حرّمها القرآن في الآيات السابقة ، كانت محرمة في الجاهلية ولم يكن يباح منها في عرف الجاهلية إلا ما نكح الآباء ، والجمع بين الأختين - على كره من العرف الجاهلي ذاته لنكاح زوجات الآباء . وقد كان يسمى عندهم «مقيتاً» نسبة إلى المقت ! ولكن لما جاء القرآن يُقرر حرمة هذه المحرمات ، لم يرجع في تحريمها إلى عرف الجاهلية هذا ، إنما

قال - سبحانه : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ . لأن الإسلام يعتبر أن الأصل الوحيد الذى يقوم عليه التشريع للناس هو أمر الله وإذنه . باعتبار أنه هو مصدر السلطان الأول والأخير . فكل ما لم يقم ابتداء على هذا الأصل فهو باطل بطلاناً أصلياً ، غير قابل للتصحيح المستأنف .

وبعد بيان المحرمات ، وربطها بأمر الله وعهده ، أخذ السياق في بيان المجال الذى يملك فيه الناس أن يلبوا دوافع فطرتهم في الزواج ، والطريقة التى يحب الله أن يلتقى بها أفراد الجنسين لتكوين البيوت . وإقامة مؤسسات الأسرة ، والتمتع بهذا الالتقاء في نظافة وطهر وجد تليق بهذا الأمر العظيم .

وفيا وراء هذه المحرمات المذكورة فالنكاح حلال ، وللراغبين فيه أن يبتغوا النساء ، بأموالهم - أى لأداء صداقهن - لا لشراء أعراضهن بالأموال من غير نكاح ومن ثم قال : ﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ﴾ . وجعلها قيداً وشرطاً للابتغاء بالأموال .

ويقول صاحب الظلال : « القرآن يصور طبيعة النوع الذى يريده الله .. فهو إحصان .. هو حفظ وصيانة .. هو حماية ووقاية .. هو إحصان للرجل وإحصان للمرأة وكذلك للبيت والأسرة والأطفال . إحصان لهذه المؤسسة التى تقوم على هذا الأساس ثابتة راسخة وطيدة » .

ويقرر القرآن كيف يُبتغى بالأموال .. فهو يجعل صداق المرأة فريضة لها مقابل الاستمتاع بها . فمن أراد أن يستمتع بامرأة من الحلائل - وهن ما وراء ذلكم من المحرمات - فالطريق هو ابتغاؤها للإحصان - أى عن طريق الزواج لا عن أى طريق آخر - وعليه أن يؤدى لها صداقها حتماً مفروضاً ، لا نافلة ، ولا تطوعاً منه ، ولا إحساناً ، فهو حق لها عليه مفروض . وليس له أن يرثها وراثته بلا مقابل ، وليس له أن يقايض عليها مقايضة كما كان يقع في زواج الشغار في الجاهلية . وهو أن يتزوج الرجل امرأة في مقابل أن يدفع لوليها امرأة من عنده ، كأنها بهيمتان ! أو شيتان !

وبعد تقرير هذا الحق للمرأة وفرضيته ، يدع الباب مفتوحاً لما يتراضى عليه الزوجان بينهما وفق مقتضيات حياتهما المشتركة ، ووفق مشاعرهما وعواطفهما أحدهما تجاه الآخر . فإذا كانت ظروف المسلم تحول بينه وبين الزواج من حرة تحصنها الحرية وتصونها ، فقد رخص له في الزواج من غير الحرة ، إذا هو لم يصبر حتى يستطيع الزواج من حرة ، وخشى المشقة ؛ أو خشى الفتنة .

ويقول صاحب الظلال : « إن هذا الدين يتعامل مع « الإنسان » في حدود فطرته ، وفي حدود طاقته . وفي حدود واقعه ، وفي حدود حاجاته الحقيقية .. وحين يأخذ بيده ليرتفع به من حضيض الحياة الجاهلية إلى مرتقى الحياة الإسلامية لا يغفل فطرته وطاقته وواقعه وحاجاته الحقيقية ، بل يلببها كلها وهو في طريقه إلى المرتقى الصاعد .. إنه فقط لا يعتبر واقع الجاهلية هو الواقع الذى لا فكاك منه . فواقع الجاهلية هابط ، وقد جاء الإسلام ليرفع البشرية من وهدة هذا الواقع ! إنما هو يعتبر واقع « الإنسان » في فطرته وحقيقته .. واقتدار الإنسان على الترقى واقع

من هذا الواقع .. فليس الواقع فقط هو مجرد تلبطه في وحل الجاهلية - أية جاهلية - فمن الواقع كذلك مقدرته - بما ركب في فطرته - على الصعود والتسامى عن ذلك الوحل أيضاً ! والله - سبحانه - هو الذى « يعلم واقع الإنسان » كله ، لأنه يعلم « حقيقة الإنسان » كلها . هو الذى خلقه ويعلم ما توسوس به نفسه : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ؟

ثم تنتهى الآية - ببيان أن الزواج من الإمام رخصة لمن يخشى المشقة أو الفتنة . فمن استطاع الصبر - في غير مشقة ولا فتنة - فهو خير ، ومن قبل ذلك جاء الإسلام ليضع الحق في نصابه ؛ وليأخذ الجانى بالعقوبة ، مراعيًا جميع اعتبارات « الواقع » وليجعل حد الأمة بعد الإحصان نصف حد الحرة قبل الإحصان . فلا يترخص فيعفيها من العقوبة ، ويجعل إرادتها ملغاة كلية من ارتكاب الفعل تحت وطأة الظروف - فهذا خلاف الواقع . ولا يغفل واقعها كذلك فيعاقبها عقاب الحرة وواقعها يختلف عن واقع الحرة . ولا يتشدد تشدد الجاهلية مع الضعاف دون الأشراف !!

ومنهج الإسلام في ذلك كله أن الله لا يريد أن يعنت عباده ، ولا أن يشق عليهم ، ولا أن يوقعهم في الفتنة . وإذا كان دينه الذى اختاره لهم ، يريد منهم الاستعلاء والارتفاع والتسامى ، فهو يريد منهم هذا كله في حدود فطرتهم الإنسانية ، وفي حدود طاقتهم الكامنة ، وفي حدود حاجاتهم الحقيقية كذلك ، ومن ثم فهو منهج ميسر ، يلحظ الفطرة ، ويعرف الحاجة ، ويقدر الضرورة ، وبغيته في ذلك تكريم الإنسان ، وربطه بالموكب الإيماني الموصول ، في الطريق اللاحظ الطويل ليشعر بحقيقة أصله وأمته ومنهجه وطريقه .. إنه من هذه الأمة المؤمنة بالله ، تجمعها آصرة المنهج الإلهي ، على اختلاف الزمان والمكان واختلاف الأوطان والألوان ، وتربطها سنة الله المرسومة للمؤمنين في كل جيل ، ومن كل قبيل .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

- ١ - تحريم المرأة المتزوجة حتى يفارقها زوجها بطلاق أو موت وحتى تنقضى عدتها .
- ٢ - وجوب المهور ، وجواز إعطاء المرأة من مهرها لزوجها ما تشاء .
- ٣ - الإسلام دين اليسر والسماحة لا دين العنت والمشقة .
- ٤ - مَنَّ الله تعالى علينا في تعليله الأحكام لنا لتطمئن نفوسنا إلى هديه وشرعه ، ولتستعين على تنفيذ أوامره .
- ٥ - مَنَّ الله الكبرى هداية المؤمنين إلى طرق الصالحين وسبيل الفالحين ممن كانوا قبلهم .

معاني الكلمات :

الذين يتبعون الشهوات : الفجار .

تميلوا ميلاً عظيماً : تحرفوا عن الحق .

ضعيفاً : لا يصبر على الشهوات .

نصليه ناراً : ندخله إياها . سيئاتكم :

ذنوبكم الصغائر . مدخلاً كريماً : مكاناً

شريفاً . مما ترك : ورثة عصابة يرثون مما ترك .

الذين عقدت أيمانكم : الذين حالفتموهم

وعاهدتموهم .

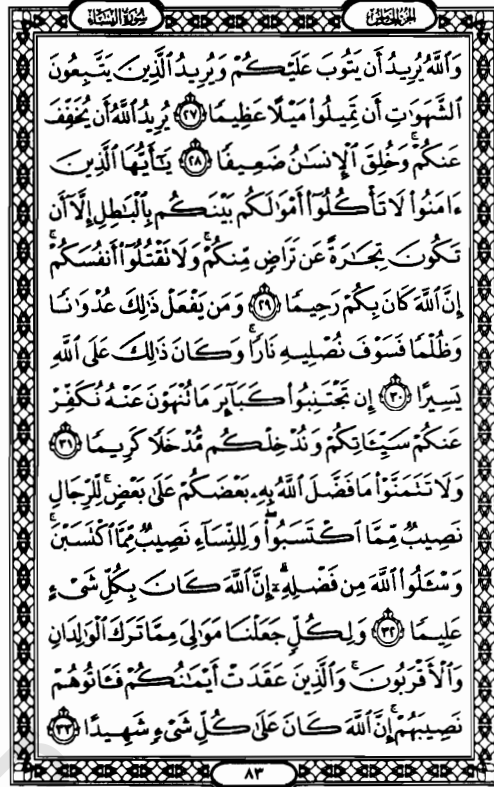
الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١- بيان إرادة الله بالإنسان اليسر لا

العسر .

٢- بيان حكمة تشريع الإسلام في

النهي عن أكل أموال الناس بالباطل .



٣- بيان أن اجتناب الكبائر يكفر السيئات .

٤- بيان أهمية الرضا بما قسم الله للإنسان .

المحتوى التربوي :

في هذه الآيات تبدو روعة التشريع وجميل عفو المشرع - عز وجل - فما يريد الله للناس بمنهجه وطريقته هو التوبة . والهداية ، وتجنب المزالق - يريد أن يعينهم على التسامي في المرتقى الصاعد إلى القمة السامقة ، وماذا يريد الذين يتبعون الشهوات ، ويزينون للناس منافع ومذاهب لم يأذن بها الله ، ولم يشرعها لعباده ؟ إنهم يريدون لهم أن يميلوا ميلاً عظيماً عن المنهج الراشد والمرتقى الصاعد والطريق المستقيم .

وتبدو كذلك إرادة التخفيف بمراعاة فطرة الإنسان ، وطاقته ، وحاجاته الحقيقية ، مع وضع سياج الحماية الذي يقبها التبدد وسوء الاستعمال فقال - عز وجل : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ تَخَفَّ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ۝ ﴾ .

ويقول صاحب الظلال : « وكثيرون يحسبون أن التقيد بمنهج الله - وبخاصة في علاقات الجنسين - شاق مجهد . والانطلاق مع الذين يتبعون الشهوات ميسر مريح ! وهذا وهم كبير

والنظر إلى الواقع في حياة المجتمعات التي « تحررت » ! من قيود الدين والأخلاق والحياء في هذه العلاقة ، يكفي لإلقاء الرعب في القلوب . لو كانت هنالك قلوب !

لقد كانت فرضى العلاقة الجنسية هي المعول الأول الذى حطم الحضارات القديمة . حطم الحضارة الإغريقية ، والرومانية ، والفارسية .. وهذه الفوضى ذاتها هي التي أخذت تحطم الحضارة الغربية الراهنة ؛ وقد ظهرت آثارها - التحطيم - شبه كاملة في انهيئات فرنسا التي سبقت في هذه الفوضى ؛ وبدأت هذه الآثار تظهر في أمريكا والسويد وإنجلترا ، وغيرها من دول الحضارة الحديثة .

ويتواصل السياق القرآني في تعميق الأسس التربوية ودعائها لتأسيس الأسرة والمجتمع المسلم ، فيتناول جانباً من العلاقات المالية في المجتمع المسلم ، لتنظيم طرق التعامل بين الأفراد عامة ولضمان وتقدير حق النساء كالرجال في الملك والكسب - كل حسب نصيبه - وأخيراً لتنظيم التعامل في عقود الولاء التي كانت سارية في الجاهلية وفي القسم الأول من صدر الإسلام ، لتصفية هذا النظام ، وتخصيص الميراث بالأقارب ومنع عقود الولاء الجديدة .

ويقول صاحب الظلال: « وهنا في هذه الآيات نجد النهي للذين آمنوا عن أكل أموالهم بينهم بالباطل ، - وبيان الوجه الحلال للربح في تداول الأموال - وهو التجارة - ونجد إلى جانبه تصوير أكل الأموال بالباطل بأنه قتل للأنفس ؛ وهلكة وبوار . ونجد إلى جانبه كذلك التحذير من عذاب الآخرة ومس النار ! .. وفي الوقت ذاته نجد التيسير والوعد بالمغفرة والتكفير ، والعون على الضعف والعفو عن التقصير .. كذلك نجد تربية النفوس على عدم التطلع إلى ما أنعم الله على البعض ، والتوجه إلى الله - صاحب العطاء - وسؤال من بيده الفضل والعطاء ، وذلك التوجيه مصاحب لتقرير حق الرجال ونصيبهم فيما اكتسبوا ، وحق النساء ونصيبهن فيما اكتسبن ، وهذا وذلك مصحوب بأن الله كان بكل شيء عليماً .. كما أن بيان التصرف في عقود الولاء ، والأمر بالوفاء بها نجده مصحوباً بأن الله كان على كل شيء شهيداً .. وهي لمسات وجدانية مؤثرة مصاحبة للتشريع ، وتوجيهات تربوية من صنع العليم بالإنسان ، وتكوينه النفسى ، ومسالك نفسه ودروبها الكثيرة » .

وفي سياق الحديث عن الأموال ، وتداولها في الجماعة المسلمة ، تحيىء تكملة فيما بين الرجال والنساء من ارتباطات ومعاملات فينهى الله عن تمنى ما فضل الله بعض المؤمنين على بعض .. من أى نوع من أنواع التفضيل ، في الوظيفة والمكانة ، وفي الاستعدادات والمواهب ، وفي المال والمتاع ، وفي كل ما تتفاوت فيه الأنصبة في هذه الحياة .. والتوجه بالطلب إلى الله ، وسؤاله من فضله مباشرة ؛ بدلاً من إضاعة النفس حشرات في التطلع إلى التفاوت ، وبدلاً من المشاعر المصاحبة لهذا التطلع من حسد وحقد ؛ ومن حنق كذلك ونقمة ، أو من شعور بالضياع

والحرمان ، والتهوى والتهافت أمام هذا الشعور .. وما قد ينشأ عن هذا كله من سوء ظن بالله ؛ وسوء ظن بعدالة التوزيع .. حيث تكون القاصمة ، التي تذهب بطمأنينة النفس ، وتورث القلق والنكد ؛ وتستهلك الطاقات في وجدانات خبيثة ، وفي اتجاهات خبيثة . بينما التوجه مباشرة إلى فضل الله ، هو ابتداء التوجه إلى مصدر الإنعام والعطاء ، الذي لا ينقص ما عنده بما أعطى ، ولا يضيق بالسائلين المتزاحمين على الأبواب ! وهو بعد ذلك موثل الطمأنينة والرجاء ، ومبعث الإيجابية في تلمس الأسباب ، بدل بذل الجهد في التحرق والغيط أو التهاوى والانحلال !

وقال السدى في هذا الصدد : إن رجالاً قالوا : إنا نريد أن يكون لنا من الأجر الضعف على أجر النساء ، كما لنا في أجر السهام سهان ! وقالت النساء : إنا نريد أن يكون لنا مثل أجر الشهداء ، فإننا لا نستطيع أن نقاتل ، ولو كتب علينا القتال لقاتلنا ! فأبى الله ذلك ، ولكن قال لهم : سلوني من فضلى . قال ليس بعرض الدنيا ... وروى مثل ذلك عن قتادة .

وبعد أن ذكر أن للرجال نصيباً مما اكتسبوا ، وللنساء نصيباً مما اكتسبن .. وبين - فيما سلف - أنصبة الذكور والإناث في الميراث .. ذكر أن الله جعل لكل مولى من قرابته يرثونه . يرثونه مما آل إليه من الوالدين والأقربين .. فالمال يظل يتداول بهذا الإرث جيلاً بعد جيل يرث الوارثون ثم يضمون إلى ميراثهم ما يكتسبون ؛ ثم يرثهم من يلوئهم من الأقربين .. وهى صورة تمثل دورة المال في النظام الإسلامى ؛ وأنها لا تقف عند جيل ؛ ولا تتركز في بيت ولا فرد .. إنما هو التوارث المستمر ، والتداول المستمر ، وحركة التوزيع الدائبة ؛ وما يتبعها من تعديل في المالكين ، وتعديل في المقادير ؛ بين الحين والحين .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن من رحمة الله بالإنسان وإرادته به اليسر لا العسر ، أنه - سبحانه - يخفف عنه ، لعلمه بضعفه وقلة احتماله ، فلم يشرع له منهجاً يشق عليه تطبيقه ، ولا حرم عليه ما يستحيل عليه الامتناع عنه .

٢ - أن تشريع النهى عن أكل أموال الناس بالباطل ، يستهدف استقرار الحياة الاقتصادية بين الناس ، وإقرار العدل ومقاومة الظلم .

٣ - أن اجتناب الكبائر بإخلاص يؤدي إلى تكفير السيئات ، وتلك رحمة من الله تعالى بعباده الذين يسيئون إلى أنفسهم بمعصية الله تعالى . بل يزيدهم الله تعالى من بره وكرمه فيدخلهم الجنة .

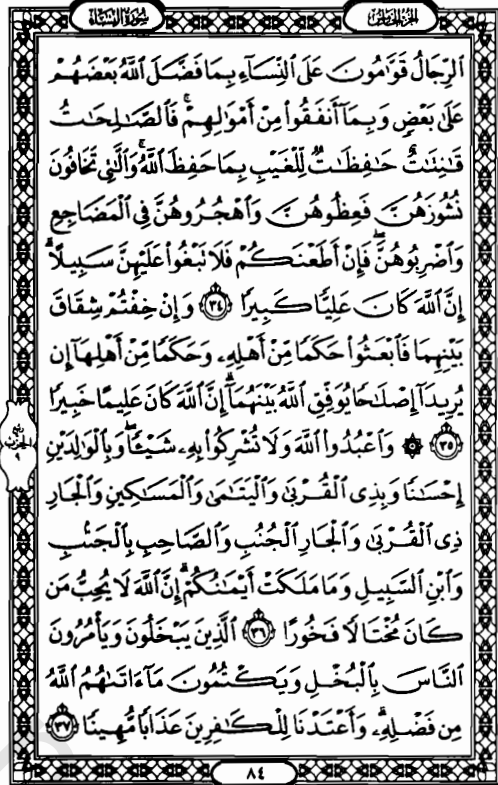
٤ - المسلم مطالب بأن يرضى بم قسم الله له ، وقد روى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » الحديث .

معاني الكلمات :

قوامون على النساء : قيام الولاية المصلحين
ورعاية الأسرة . قانتات : مطيعات لله ثم
لأزواجهن . حافظات للغيب : صائئات
للعرض والمال في غيبة الزوج . نشوزهن :
عصيانهن . عظوهن : ذكروهن . اهجرهن
في المضاجع : اتركوا فراشهن ، والنوم معهن .
شقاق : خلافا وعداوة . الجار الجنب :
الجار البعيد سكناً أو ليس له قرابة تربطه
بجاره . الصاحب بالجنب : الرفيق في أى
أمر حسن . ابن السبيل : المسافر الذى
انقطع عن أهله وماله .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - بيان المفهوم الصحيح لقوامه
الرجال على النساء .
- ٢ - بيان صفات المرأة الصالحة .



٣ - بيان الحكمة من تشريع الله ؛ معاملة الزوجة بالعظة ثم بالهجر ثم بالضرب .

٤ - أن نعرف كيف نتقى النشوز من قبل النساء وكيف نضمن سلامة بناء الأسرة .

المحتوى التربوى :

يستأنف السياق القرآنى تشريعاته فى تنظيم مؤسسة الأسرة ، وضبط الأمور فيها ؛ وتوزيع الاختصاصات ، وتحديد الواجبات ؛ وبيان الإجراءات التى تتخذ لضبط أمور هذه المؤسسة ؛ والمحافظة عليها من زعازع الأهواء والخلافات ؛ واتقاء عناصر التهديم فيها والتدمير ، جهد المستطاع .

فيتحدث السياق عن ولاية وقوامه الرجال على النساء فى المسؤولية والتوجيه فهم ، قائمون عليهن بالأمر والنهى ، والإنفاق والتوجيه كما يقوم الولاية على الرعية : ﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ أى بسبب ما منحهم الله من العقل والتدبير ، وخصهم به من الكسب والإنفاق ، فهم يقومون على النساء بالحفظ والرعاية والتأديب ، قال أبو السعود : « والتفضيل للرجال لكمال العقل وحسن التدبير ورزانة الرأى ومزيد القوة ، ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية والشهادة والجهاد وغير ذلك » .

والقوامة هي في الحقيقة درجة (مسؤولية وتكليف) لا درجة (تفضيل وتشريف) إذ هي مساهمة في تحمل الأعباء، وتوزيع الاختصاصات، وتحديد الواجبات داخل هذه المؤسسة الصغيرة « الأسرة » التي اهتم بها الإسلام أيما اهتمام، وليست القوامة كما يفهمها البعض للسيطرة والاستعلاء وإلغاء شخصية المرأة في البيت، وإنها هي وظيفة لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة وصيانتها وحمايتها، فلا بد لكل أمر مهم من رئيس يتولى التدبير والقيادة، وقد جعل الله للرجال حق القيام على النساء بالتأديب والتدبير والحفظ والصيانة. وبعد بيان واجب الرجل وحقه والتزاماته وتكاليفه في القوامة، يجيء بيان طبيعة المرأة المؤمنة الصالحة وسلوكها وتصرفها الإيماني في محيط الأسرة، فمن طبيعة المرأة المؤمنة الصالحة ومن صفاتها الملازمة لها، بحكم إيمانها وصلاحتها، أن تكون قانته.. مطبوعة.. والقنوت: الطاعة عن إرادة وتوجه ورغبة ومحبة، لا عن قسر وإرغام وتفلت ومعاظلة! وكذلك هي حافظة لحرمة الرباط المقدس بينها وبين زوجها في غيبته - وبالأولى في حضوره - فلا تبيح من نفسها في نظرة أو نبرة - بله العرض والحرمة - ما لا يباح إلا له هو - بحكم أنه الشطر الآخر للنفس الواحدة. وما لا يباح، لا تقرره هي، ولا يقرره هو: إنما يقرره الله - سبحانه: ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾.

ويقول صاحب الظلال: « فليس الأمر أمر رضا الزوج عن أن تبيح زوجته من نفسها - في غيبته أو في حضوره - ما لا يغضب هو له أو ما يمليه عليه وعليها المجتمع! إذا انحرف المجتمع عن منهج الله.. إن هناك حكماً واحداً في حدود هذا الحفظ؛ فعليها أن تحفظ نفسها ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾. فأما غير الصالحات.. فهن الناشزات، والمرأة الناشز هي التي تستل بالعضيان والتمرد والإسلام لا ينتظر حتى يقع النشوز فعلاً وتتصدع مؤسسة الأسرة، وتسقط مهابة القوامة، بل يشرع الإجراء الوقائي للمبادرة بإصلاح النفوس والأوضاع، لا لزيادة إفساد القلوب، وملئها بالبغيض والحق، أو بالمذلة والرضوخ الكظيم! فيبدأ بالموعظة وهي أولى واجبات القيم ورب الأسرة، وحين لا تجدى ولا تنفع يأتي الإجراء الثاني إسقاط أمضى أسلحة المرأة التي تعتر بها فيقهر دوافعه تجاه إغرائها: ﴿وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾.

ويقول صاحب الظلال: « على أن هناك أدباً معيناً في هذا الإجراء.. إجراء الهجر في المضاجع وهو ألا يكون هجراً ظاهراً في غير مكان خلوة الزوجين.. لا يكون هجراً أمام الأطفال، يورث في نفوسهم شراً وفساداً.. ولا هجراً أمام الغرباء يذل الزوجة أو يستثير كرامتها، فتزداد نشوزاً. فال مقصود علاج النشوز لا إذلال الزوجة، ولا إفساد الأطفال..! وحين لا تجدى الموعظة ولا يجدى الهجر في المضاجع يأتي الإجراء الثالث: ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ واستصحاب الهدف من هذه الإجراءات كلها يمنع أن يكون هذا الضرب تعذيباً للانتقام والتشفى.. ويمنع أن يكون إهانة للإذلال والتحقير. ويمنع أن يكون أيضاً للقسر والإرغام على معيشة لا ترضاها. ويحدد أن يكون ضرب تأديب مصحوب بعاطفة المؤدب المربي، كما يزاوله الأب مع أبنائه وعلى أية حال فقد جعل لهذه الإجراءات حداً تقف عنده - متى تحققت الغاية - غاية الطاعة - هي المقصودة. وهي طاعة الاستجابة لا طاعة الإرغام. فهذه ليست طاعة تصلح لقيام مؤسسة الأسرة.

واستكمالاً للحماية الوقائية لبنيان الأسرة من التصدع يلجأ للوسيلة الأخيرة - عند خوف الشقاق - فيبادر قبل وقوع الشقاق فعلاً .. يبعث حكم من أهله ، وحكم من أهلها - يجتمعان في هدوء . بعيدين عن الانفعالات النفسية ، والرواسب الشعورية والملابسات المعيشية راغبين في خير الزوجين وأطفالهما ومؤسستهما المهتدة بالدمار .. وفي الوقت ذاته هما مؤتمنان على أسرار الزوجين . فإن أراداً إصلاحاً فإن الله يقدر الصلاح بينهما والتوفيق .

وبعد ختام الجولة التربوية الأولى لإرساء دعائم الأسرة المسلمة وفق التشريع القرآنى ، تأتى الجولة الثانية لإرساء القاعدة الأولية التى يَقُوم عليها المجتمع المسلم - قاعدة التوحيد الخالص - التى تنبع منها كل التصورات الأساسية للعلاقات الكونية والحيوية والإنسانية، يأتى الأمر الأول بعبادة الله . والنهى الثانى لتحريم عبادة أحد - معه - سواه ، ثم ينطلق الأمر إلى الإحسان إلى الوالدين - على التخصيص - ولذوى القربى على التعميم ، ويعقب على الأمر بالإحسان ، بتقبيح الاختيال والفخر ، والبخل والتبخل وكتمان نعمة الله وفضله ، والرياء فى الإنفاق ؛ والكشف عن سبب هذا كله ، وهو عدم الإيمان بالله واليوم الآخر ، واتباع الشيطان وصحبته ، وهنا تتضح حقيقة ثابتة فى المنهج الإسلامى وهى ربط كل مظاهر السلوك ، وكل دوافع الشعور ، وكل علاقات المجتمع بالعقيدة ، فالتوحيد يتبعه الإحسان إلى البشر ، ابتغاء وجه الله ورضاه ، والتعلق بثوابه فى الآخرة ؛ فى أدب ورفق ومعرفة بأن العبد لا ينفق إلا من رزق الله . فهو لا يخلق رزقه ، ولا ينال إلا من عطاء الله . والكفر بالله وباليوم الآخر يصاحبه الاختيال والفخر ، والبخل والأمر بالبخل ، وكتمان فضل الله ونعمته بحيث لا تظهر آثارها فى إحسان أو عطاء ؛ أو الإنفاق رياء وتظاهراً طلباً للمفخرة عند الناس ؛ إذ لا إيمان بجزاء آخر غير الفخر والخيلاء بين العباد ! لذا كان الجزاء العذاب المهين .

ما ترشدنا إليه الآيات تريبوياً :

١ - قوامه الرجال على النساء لا تعنى السلطة أو الاستبداد ، وإنما قوامه مقيدة بحسن المعاشرة وحسن الرعاية وتحمل المسؤولية .

٢ - من صفات المرأة الصالحة المؤمنة : الطاعة للزوج عن رضا وحب ، وحفظ الغيب بها حفظ الله فى نفسها ومال زوجها وتربية أبنائها .

٣ - للزوج حق تأديب زوجته وفق حدود الشرع مع مراعاة التدرج فى مراحل من الموعظة إلى الهجر فى المضاجع إلى الضرب غير المبرح بنية الإصلاح لا الإذلال .

٤ - إخلاص العبادة لله وحده هو الحل لكل مشكلات الحياة .

٥ - الإحسان جزء من الدين ولا إسلام على وجه صحيح إلا به ، ويبدأ بالوالدين ولا ينتهى حتى يضم ابن السبيل وما ملكك اليمين .

٦ - الرياء والرغبة فى الحصول على رضا الناس من أسوأ صفات الإنسان ، ومن أسباب إحباط العمل وعدم قبوله عند الله .

معاني الكلمات :

رئاء الناس : مراة لهم وسمعة لا لوجه الله . قريناً : ملازماً .

جنباً : من عليه جنابة ، وهى الأثر الناتج من التقاء الرجل والمرأة .

عابري سبيل : مسافرين فقدوا الماء فتييموا .

الغائط : كناية عن الحدث (التبول أو التبرز) .

لامستم : جامعتم .

فامسحوا : وذلك بإمرار اليد على التراب أو الأرض ثم إمرارها على الوجه واليدين بقصد الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان الحكمة من التدرج في تحريم الخمر .

٢ - بيان يسر الإسلام فيما شرعه من التيمم بدلاً من الوضوء أو الغسل عند المرض أو فقد الماء .

٣ - أن نتعلم كيفية التيمم .

المحتوى التربوى :

تواصل هذه الآيات رسمها للسمات الأساسية للمنهج الإسلامى ، وهى ربط كل مظاهر السلوك ، وكل دوافع الشعور ، وكل علاقات المجتمع بالعقيدة . فإفراد الله - سبحانه - بالعبادة والتلقى ، يتبعه الإحسان إلى البشر ، ابتغاء وجه الله ورضاه ، والتعلق بشوابه فى الآخرة ؛ فى أدب ورفق ومعرفة بأن العبد لا ينفع إلا من رزق الله . فهو لا يخلق رزقه ، ولا ينال إلا من عطاء الله .. والكفر بالله وباليوم الآخر يصاحبه الاختيال والفخر ، والبخل والأمر بالبخل ، وكتمان فضل الله ونعمته بحيث لا تظهر آثارها فى إحسان أو عطاء ؛ أو الإنفاق رياء وتظاهراً طلباً للمفخرة عند الناس ؛ إذ لا إيمان بجزاء آخر غير الفخر والخيلاء بين العباد !

وحين ينتهى من عرض سوءات نفوسهم وسلوكهم ؛ ومن عرض أسبابها من الكفر بالله واليوم الآخر ، وصحبة الشيطان واتباعه ؛ ومن الجزاء المهيأ لأصحاب هذه السوءات ، وهو

العذاب المهين عندئذ يسأل في استنكار ماذا عليهم ؟ ما الذى يخشونه من الإيمان بالله واليوم الآخر ، والإنفاق من رزق الله . والله عليم بهم وبما أنفقوا وبما استقر في قلوبهم من بواعث . والله لا يظلم مثقال ذرة فلا خشية من الجهل بإيمانهم وإنفاقهم ولا خوف من الظلم في جزائهم .. بل هناك الفضل والزيادة ، بمضاعفة الحسنات ، والزيادة من فضل الله بلا حساب ؟

ثم يختم الأوامر والنواهي ، والتحضيض والترغيب ، بمشهد من مشاهد القيامة ؛ يحسم موقفهم فيه ، ويرسم حركة النفوس والمشاعر كأنها شاخصة متحركة ، ويمهد لمشهد القيامة ، بأن الله لا يظلم مثقال ذرة ، ويضاعف الحسنات ، ويؤتى فضلاً عنها أجراً من لدنه عظيماً . فهى الرحمة إذن لمن يستحقون الرحمة ، والفضل المطلق لمن كانوا يرجون الفضل ، بالإيمان والعمل . أما الذين لم يقدموا إيماناً ، ولم يقدموا عملاً . فكيف يكون حالهم يوم القيامة ؟ إنها المهانة والخزى ، والخجل والندامة .. مع الاعتراف حيث لا جدوى من الإنكار .

ويبدأ درس جديد بالأمر بعبادة الله والنهي عن إشراك شئ به .. والصلاة أمس الشعائر بمعنى العبادة . وفى هذا الدرس بيان لبعض أحكامها ، وأحكام الطهارة الممهدة لها . ويعالج السياق ظاهرة الخمر التى كانت متغلغلة في المجتمع . فلقد عالجها بوضع آيات من القرآن ؛ وعلى مراحل ، وفى رفق وتؤدة ، وكسب المعركة . دون حرب ، ودون توضحيات ودون إراقة دماء .. والذى أريق فقط هو دنان الخمر وزقاقها وجرعات منها كانت فى أفواه الشاربين - حين سمعوا آية التحريم - فمجوها من أفواههم . ولم يبلعوها .

يقول صاحب الظلال : « لقد انتصر القرآن ، وأفلح المنهج وفرض سلطانه - دون أن يستخدم السلطان .. لأنه أخذ النفس الإنسانية بسلطان الله وخشيته ومراقبته ، وبحضور الله - سبحانه - فيها حضوراً لا تملك الغفلة عنه لحظة من زمان .. وعالج الفطرة بطريقة خالقة الفطرة .. لقد ملأ فراغها باهتمامات كبيرة لا تدع فيها فراغاً تملؤه بنشوة الخمر ، وخيالات السكر ، وما يصاحبها من مفاخرات وخيلاء فى الهواء .

ملأ فراغها باهتمامات . منها : نقل هذه البشرية الضالة الشاردة كلها ، من تيه الجاهلية الأجرد ، وهجيرها المتلظى ، وظلامها الدامس ، وعبوديتها المذلة . إلى رياض الإسلام البديعة ونوره الوضئ ، وحرية الكريمة التى تشمل الدنيا والآخرة ! وملأها بالإيمان .. فلم تعد فى حاجة إلى نشوة الخمر . تخلق بها فى خيالات كاذبة ! وهى ترف بالإيمان المشع إلى الأعلى الوضئ .. وتعيش بقرب الله ونوره وجلاله .. وتذوق طعم هذا القرب ، فتمج طعم الخمر ونشوتها ، وترفض خمارها وصداعها ؛ وتستقذر لوثتها وخودها فى النهاية ! » .

كما منعت الآيات - الذين آمنوا - أن يقربوا الصلاة وهم سكارى - حتى يعلموا ما يقولون - كذلك منعتهم من الصلاة وهم جنب - إلا عابري سبيل - حتى يغتسلوا .

ويمضى السياق ميسراً على المؤمنين فيشمل حالة المسافر - عندما يصيبه حدث أكبر فيكون جنباً فى حاجة إلى الغسل أو حدث أصغر ، فيكون فى حاجة إلى الوضوء ، لأداء الصلاة وكذلك من كان مريضاً ، فألم به حدث أكبر أو أصغر ، أو بمن جاء من الغائط فأصابه حدث أصغر

يقتضى الوضوء ، أو بمن لامس النساء ، كل هؤلاء وجب عليهم الوضوء قبل الدخول في الصلاة فإن لم يجدوا ماءً يغنى عن الغسل والوضوء : فالتيمم .

وطريقة التيمم : إما خبطة واحدة بالكفين على الصعيد الطاهر ثم نفضهما ثم مسح الوجه ، ثم مسح اليدين إلى المرفقين بهما .. وإما خبطتان : خبطة يمسح بها الوجه ، وخبطة يمسح بها الذراعين .

يقول صاحب الظلال : « إن هذا كله يدل بالإضافة إلى ما سيأتى في السورة من بيان كيفية الصلاة عند الخوف - في ميدان القتال - على حرص شديد من المنهج الربانى ، على الصلاة .. بحيث لا ينقطع المسلم عنها لسبب من الأسباب (ويبدو ذلك كذلك في المرض حيث تؤدى الصلاة من قعود ، أو من اضطجاع ، أو من نوم . وتؤدى بحركات من جفنى العين عندما يشق تحريك الجسم والأطراف !)

إنها هذه الصلة بين العبد والرب . الصلة التى لا يجب الله للعبد أن ينقطع عنها لأنه - سبحانه - يعلم ضرورتها لهذا العبد ، فالله - سبحانه - غنى عن العالمين . ولا يناله من عبادة العباد شئ إلا صلاحهم هم . وإلا ما يجدون في الصلاة والاتصال بالله ، من العون على تكاليفهم ، والاسترواح لقلوبهم ، والاطمئنان لأرواحهم . والإشراق في كيانهم ؛ والشعور بأنهم في كنف الله ، وقربه ، ورعايته ، بالطريقة التى تصلح لفطرتهم . والله أعلم بفطرتهم هذه ، وبما يصلح لها وما يصلحها .. وهو أعلم بمن خلق . وهو اللطيف الخبير » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١- الحث على أن يكون الإنفاق ابتغاء لمرضاة الله ، خالياً من الرياء وحب الظهور والسمعة ، وحسن الصيت .

٢- أن الصلاة رأس العبادات ، وأن المؤمن لا يؤديها إلا وهو كامل الوعى مدرك لما يقول في صلاته من قراءة أو دعوات ، لذا حُرِّم شرب الخمر أو أى مسكر أو نحوه مما يذهب العقل أو يصيبه بالخلط عند الدخول في الصلاة .

٣- أن الخمر قد حرمت مطلقاً ، حرم شربها والاتجار فيها وحملها وحفظها ولو كانت وديعة أو أمانة من أى شخص ، لما فيها من ضرر يلحق الفرد والمجتمع ، ولما يسبب تعاطيها من إيقاع العداوة والبغضاء بين الذين يتعاطونها ، ولما تسببه من ذهاب عقله وذهاب كرامته ، ووقاره ؛ ولأن الله تعالى لا يحرم على عباده إلا ما يضرهم تعاطيه أو التعامل معه .

٤- يسر الإسلام فيما شرعه من التيمم بدلاً من الوضوء أو الغسل عند المرض أو فقد الماء .

٥- تحريم الصلاة وقراءة القرآن ودخول المسجد على الجنب حتى يغتسل (أو يتيمم عند فقد الماء أو تعذر استعماله) .

معاني الكلمات :

يخرفون الكلم : يغيرون أو يفسدون بالباطل .

راعنا : يريدون الرعونة ، ويقصدون سبه وتنقيصه ﷺ .

وأقوم : أعدل وأصوب . نطمس وجوهاً : نتركهم في الضلالة . نردها على أدبارها : نصرفها عن الحق . ما دون ذلك : غير الشرك من الذنوب لمن يشاء .

يزكون أنفسهم : يمدحونها بالبراءة من الذنوب .

فتيلاً : قدر الخيط الرقيق في شق نواة البلح .
إنما مبيناً : كذباً وافتراءً ظاهراً . الجبت والطاغوت : كل معبود من دون الله ، وقيل : الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - بيان طبائع اليهود المقيتة من سوء أدبهم مع الله ، وإضلالهم للمهتدين .
- ٢ - أن نعلم عداوة اليهود للذين آمنوا ، وأن نحذر مكائدهم لإضلالنا .
- ٣ - ألا نبالغ في الثناء على الآخرين وتركيتهم ، ولا نزكى أنفسنا فهذا من صفات اليهود .

المحتوى التربوي :

بعد التمهيد للدولة الإسلامية الناشئة وإرساء قواعدها التنظيمية يأتي هذا الدرس لإعلان بداية المعركة مع المعسكرات المعادية المتربصة بالجماعة المسلمة الناشئة في المدينة . ففي هذه الآيات يتعجب الله من حال اليهود وتصرفاتهم في مواجهة الدين الجديد والجماعة التي تمثله ، فقد آتاهم الله التوراة ؛ لتكون هداية لهم من ضلالتهم الأولى ، ولكنهم يدعون هذا النصيب ، يدعون الهداية ويشترون الضلالة عن علم وعن قصد وعمد ، لا عن جهل أو خطأ أو سهو ! وهو أمر عجيب مُستنكر .

ليس هذا فحسب ، بل يريدون أن يضلوا المهتدين بشتى الوسائل والطرق ؛ لذا يحذر الله - سبحانه وتعالى - المسلمين من ألاعيب اليهود وتدبيرهم ليشير نفوس المسلمين ضد الذين

يريدون لهم الضلالة بعد الهدى ، ومن ثم يعقب على إبراز هذه المكائد من اليهود ، بالتصريح بأن هؤلاء أعداء المسلمين ، وبتطمين الجماعة المسلمة إلى ولاية الله ونصره إزاء تلك المكائد .

ومن هذه المكائد ، وسوء أدبهم مع الله عز وجل : أن يحرفوا الكلام عن المقصود به ؛ ويقول صاحب الظلال : « والأرجح أن ذلك يعنى تأويلهم لعبادات التوراة بغير المقصود منها ، وذلك كى ينفوا ما فيها من دلائل الرسالة الأخيرة ومن أحكام وتشريعات يصدقها الكتاب الأخير ؛ وتبعاً لهذا على صحة رسالة النبي ﷺ . وتحريف الكلم عن المقصود به ، ليوافق الأهواء ، ظاهرة ملحوظة في كل رجال دين ينحرفون عن دينهم ، ويتخذونه حرفة وصناعة ، يوافقون بها أهواء ذوى السلطان في كل زمان ؛ وأهواء الجاهير التي تريد التفلت من الدين ، واليهود أبرع من يصنع ذلك ، وإن كان في زماننا هذا من محترفي دين المسلمين من ينافسون - في هذه الخصلة - اليهود !

ثم بلغ من التوائهم وسوء أدبهم مع رسول الله ﷺ أن يقولوا : سمعنا يا محمد ما تقول ، ولكننا عصينا ! فلا نؤمن ولا نتبع ولا نطيع . ثم يضيفون إلى التبجح سوء الأدب والخلق والالتواء أيضاً ، إذ يقولون للرسول ﷺ : « واسمع غير مسمع - وراعنا » فهم يقصدون : اسمع - لا سمعت ، ولا كنت سامعاً ! - أخزاهم الله - وراعنا يميلونها إلى وصف « الرعونة » .

وبالرغم من سوء تأديهم بقرر الله لهم المنهج اللائق بهم ، والأدب الجدير بمن أوتوا نصيباً منه ويطمعهم - بعد ذلك كله - في الهداية والجزاء الحسن والفضل والخير من الله لو تابوا إلى الطريق القديم ، وذلك مع بيان حقيقة طبيعتهم : « وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا » .

بعد ذلك يتجه الخطاب إلى الذين أوتوا الكتاب - اليهود - دعوة إلى الكتاب المصدق لما بين أيديهم ، وتهديداً لهم بالمسخ واللعن المتوقعين من وراء عنادهم وأفاعيلهم ، ودفعاً لهم بالشرك والانحراف عن التوحيد الخالص ، الذى عليه دينهم ، والله لا يغفر أن يشرك به ، وفي الوقت ذاته بيان عام لحدود المغفرة الواسعة ؛ وبشاعة الشرك حتى إنه ليخرج من هذه الحدود .

ثم يمضى القرآن ، وهو يخوض المعركة بالجماعة المسلمة مع اليهود في المدينة - يعجب من أمر هؤلاء الخلق ؛ الذين يزعمون أنهم شعب الله المختار ؛ ويشنون على أنفسهم ؛ ويزكونها ؛ بينما هم يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويتطاولون على الله ورسوله - كما سبق - وبينما هم يؤمنون بالجبوت والطاغوت - كاذبين على الله في تركيتهم لأنفسهم ، وفي زعمهم أنهم مقربون إليه مهما عملوا من السوء !

يقول صاحب الظلال : « إنه ليس الناس هم الذين يزكون أنفسهم ؛ ويشهدون لها بالصلاح والقرب من الله واختيار الله ، إنما الله هو الذى يزكى من يشاء ، فهو أعلم بالقلوب والأعمال ، ولن يظلم الناس شيئاً ، إذا هم تركوا هذا التقدير لله - سبحانه - واتجهوا إلى العمل ، لا إلى

الادعاء فلئن عملوا وهم ساكتون متواضعون في حياة من الله - سبحانه - وبدون تزكية ولا ادعاء فلن يغبنوا عند الله ؛ ولن يُنسى لهم عمل ؛ ولن يُبخس لهم حق .

وما أرى أننا - الذين ندعى الإسلام ؛ لأننا نحمل أسماء المسلمين ، ونعيش في أرض كان يسكنها المسلمون ! بينما نحن لا نجعل الإسلام في شيء من منهجنا في الحياة . ما أحسبنا ونحن ندعى الإسلام ، فنشوه الإسلام بصورتنا وواقعنا ؛ ونؤدى ضده شهادة منفرة منه ! ثم ونحن ندعى أن الله مختار لنا لأننا أمة محمد ﷺ ، بينما دين محمد ومنهجه مطرود من واقع حياتنا طرداً ، ما أحسبنا إلا في مثل هذا الموضع الذى يعجب الله - سبحانه - منه رسوله ﷺ ويدفع أصحابه بافتراء الكذب على الله ، وارتكاب هذا الإثم المبين والعياذ بالله !

إن دين الله منهج حياة ، وطاعة الله هى تحكيم هذا المنهج في الحياة . والقرب من الله لا يكون إلا بطاعته ، فلنتظر أين نحن من الله ودينه ومنهجه ، ثم لنتظر أين نحن من حال هؤلاء اليهود ، الذين يعجب الله من حالهم ، ويدفعهم بإثم الافتراء عليه في تركيتهم لأنفسهم ! فالقاعدة هى القاعدة . والحال هى الحال . وليس لأحد عند الله نسب ولا صهر ولا محابة !!

ويستأنف السياق عجبه من أمر أولئك الذين يزكون أنفسهم ، بينما هم يؤمنون بالباطل وبالأحكام التى لا تستند إلى شرع الله ، وليس لها ضابط يعصمها من الطغيان : « الجبت والطاغوت » بينما هم يشهدون للشرك والمشركين بأنهم أهدى من المؤمنين بكتاب الله ومنهجه وشريعته ، ويحمل عليهم بعد التعجب من أمرهم ، وذكر هذه المخازى عنهم - حملة عنيفة ؛ ويرذلهم ترذيلاً شديداً ؛ ويظهر كامن طباعهم من الحسد والبخل ، والأسباب الحقيقية التى تجعلهم يقفون هذا الموقف إلى جانب انحرافهم التى وضحت الآيات .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن اليهود أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، والله تعالى يعلم عداوتهم لهذا الدين كما جاء في سورة المائدة : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ﴾ .

٢ - الله تعالى ولى المؤمنين وناصرهم ، ومن كان الله وليه وناصره ، فلن تضيره عداوة الأعداء ولا بغضاؤهم ، مهما كثروا وتنوعوا ، المهم أن يكون على مستوى الالتزام بما يوجبه الإيمان من اعتقاد صحيح وعمل صالح .

٣ - أن الذنوب جميعاً - ما عدا الشرك بالله - تتناولها مغفرة الله تعالى ، حتى لو كانت من الكبائر ، ولكن لا بد من التوبة والاستغفار - عند ارتكاب الذنوب .

٤ - ينبغى على المسلم ألا يزكى نفسه ، ولا يزكى غيره أو يمدحه ، لما رواه مسلم بسنده عن المقداد بن الأسود ؓ قال : أمرنا رسول الله ﷺ : أن نحثوا في وجوه المداحين التراب .

معاني الكلمات :

نقيراً : قدر النقرة في ظهر النواة .

صد عنه : كفر به .

نفضجت جلودهم : احترقت وتلاشت .

ظليلاً : دائماً لا حرفيه ولا يبرد .

الأمانات : كل ما يؤتمن عليه الإنسان .

أولى الأمر منكم : قادتكم ورؤسائكم .

تنازعتم في شيء : اختلفتم في الحكم على

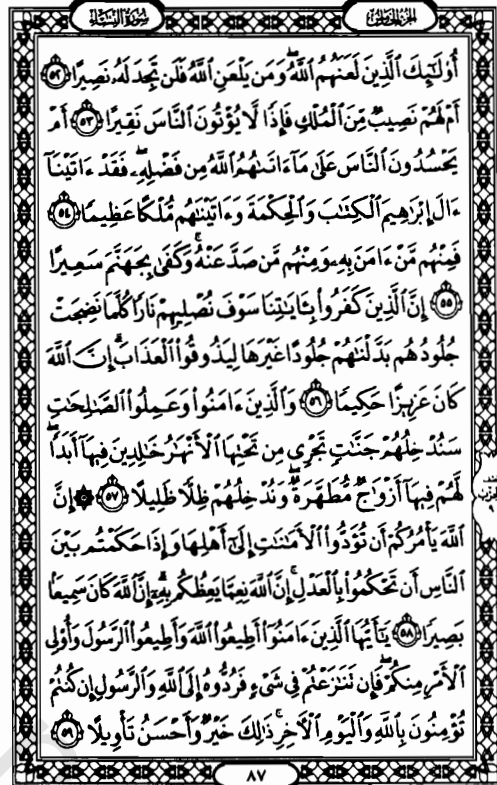
أمر من الأمور .

أحسن تأويلاً : أسلم وأجمل عاقبة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان فضل الله على عباده - بكونه

وحده مالك الملك .



٢ - بيان أهمية أداء الأمانات لأهلها، ومفهوم الأمانة بمعناها الواسع والشامل .

٣ - بيان وجوب طاعة الله ورسوله وأولى الأمر .

٤ - أن نعلم أن السعادة في الدنيا والفلاح في الآخرة في التحاكم لكتاب الله وسنة نبيه والرضا بقضائهما .

المحتوى التربوي :

دأب السياق القرآني على إظهار كوامن طباع اليهود الفاسدة ، وأحقادهم ومكائدهم للمؤمنين حتى لا تبقى خالجة من شك لأحد في أن اليهود أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، فها هو يظهر كامن طباعهم من الحسد والبخل ، ويكشف عن الحقيقة التي تجعلهم يقفون هذا الموقف إلى جانب انحرافهم عن دين إبراهيم - الذي يفخرون بالانتساب إليه .

ومع ذلك فهم لا يطبقون أن ينعم الله على عبد من عباده بشيء من عنده ، وما ذلك لشيء إلا للحسد الذي ملأ صدورهم ، فهم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله من النبوة والتمكين في الأرض مع أنهم غارقون في فضل الله من عهد إبراهيم الذي آتاه الله وآله الكتاب

والحكمة - وهى النبوة - وآتاهم كذلك المُلْك والسيادة ، وهم لم يرعوا الفضل ، ولم يحتفظوا بالنعمة ، ولم يصونوا العهد القديم ، بل كان منهم فريق من غير المؤمنين .

ويقول صاحب الظلال : « إنه من أَلَم الحسد : أن يحسد ذو النعمة الموهوب ! لقد يحسد المحروم ويكون الحسد منه رذيلة ! أما أن يحسد الواحد المغمور بالنعمة ، فهذا الشر الأصيل العميق ! شر يهود ! المتميز الفريد ! ومن ثم يكون التهديد بالسعير ، هو الجزاء المقابل لهذا الشر النكير . ﴿ وَكَفَىٰ بِهِمْ سَعِيرًا ﴾ .

ويختتم السياق هذا الصدود للإيمان فى آل إبراهيم ، بقاعدة شاملة فى الجزاء ، جزاء المكذبين ، وجزاء المؤمنين ، هؤلاء وهؤلاء أجمعون فى كل دين وفى كل حين ؛ ويعرض هذا الجزاء فى صورة مشهد من مشاهد القيامة العنيفة الرعبية .

ويقول صاحب الأساس : « بعد أن ذكر الله - عز وجل - فى الآيات السابقة كفر أهل الكتاب ، وأنه لا يغفر شرك من أشرك به ، يتبين فى آيتين من هذه الآيات الثلاث التى هى خاتمة هذا المقطع جزاء الكافرين والمؤمنين ، ثم يُصَدَّر للمؤمنين لا يكون المؤمن تقياً إلا بهما . يخبر الله تعالى عما يعاقب به فى نار جهنم مَنْ كفر بآياته ، وَصَدَّ عن رسله ، بأنه سيدخلهم ناراً دخولاً يحيط بجميع أجزائهم وأجزاءهم ، ثم أخبر عن دوام عقوبتهم ونكاحهم ، وأنه كلما احترقت جلودهم ، بُدِّلُوا جلوداً غيرها ، حتى إنه ليتبدل فى الساعة مائة مرة كما روى عن عمر رضي الله عنه ، وإذْ يَبَيِّن عقوبة الكافرين ، يَبَيِّن فيها بعد جزاء المؤمنين ، فأخبر عن مآل السعداء فى جنات عدن التى تجرى فيها الأنهار فى جميع فجاجها . محالها ، وأرجائها ، حيث شاؤوا ، وأين أرادوا ، وهم خالدون فيها أبداً ، لا يحولون ولا يزولون ، ولا ييغون عنها حولاً ، ولهم فيها أزواج مطهرة من الحيض والنفس والأذى ، ويدخلهم ظللاً عميقاً كثيراً غزيراً طيباً أنيقاً .

ثم أمر الله عز وجل - المؤمنين أمرين - كلاهما ضرورى فى قضية التقوى :

الأمر الأول : فى أداء الأمانات إلى أهلها ، وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله - عز وجل - على عباده من الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والكفارات ، والنذور ، وغير ذلك ، مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد ، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك ، مما يأتمنون به من غير اطلاع وبيّنة على ذلك فأمر الله عز وجل بأدائها - ومن ذلك قيام كل إنسان برعاية مسؤولياته .

والأمر الثانى : أمر منه تعالى بالحكم بالعدل بين الناس ، ولا عدل إلا بإقامة حكم الله ، وكل تصور للعدل غير ذلك ، إنها هو انحراف وجهل وجور ، ثم أثنى الله عز وجل على ما يأمرنا به

من أداء الأمانات ، والحكم بالعدل بين الناس ، ثم ختم الله الآية بأنه سميع لأقوالنا بصيرٌ بأفعالنا .

ثم يبين شرط الإيمان وحدّ الإسلام ، في الوقت الذى يبين قاعدة النظام الأساسى فى الجماعة المسلمة ؛ وقاعدة الحكم ، ومصدر السلطان ، وكلها تبدأ وتنتهى عند التلقى من الله وحده ، والرجوع إليه فيما لم ينص عليه نصاً ، من جزئيات الحياة التى تعرض فى حياة الناس على مدى الأجيال ؛ مما تختلف فيه العقول والآراء والأفهام .. ليكون هناك الميزان الثابت ، الذى ترجع إليه العقول والآراء والأفهام !

ويقول صاحب الظلال : « إن الحاكمية لله وحده فى حياة البشر - ما جل منها وما دق ، وما كبر منها وما صغر - والله قدس شريعته وأودعها قرآنه . وأرسل بها رسولاً بينّها للناس ، ولا ينطق عن الهوى . فستته ﷺ من ثم شريعة من شريعة الله ، والله واجب الطاعة . ومن خصائص ألوهيته أن يسن الشريعة . فشريعته واجبة التنفيذ . وعلى الذين آمنوا أن يطيعوا الله - ابتداء - وأن يطيعوا الرسول - بها له من هذه الصفة ، صفة الرسالة من الله ، فطاعته إذن من طاعة الله ، الذى أرسله بهذه الشريعة ، وبيانها للناس فى سنته . وسنته وقضاؤه - على هذا - جزء من الشريعة واجب النفاذ ، والإيمان يتعلق - وجوداً وعدماً - بهذه الطاعة وهذا التنفيذ بنص القرآن ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

ما ترشدنا إليه الآيات تربيئاً .

١ - من فضل الله - تعالى - على عباده أنه لم يعط الملك لأحد ، حتى لا يتحكم فى رقاب الناس وحياتهم .

٢ - ضرورة أداء الأمانات التى تشمل العقائد والعبادات والودائع وجميع التكاليف والأعمال والأسرار والحواس والأعضاء باستخدام كل ذلك فى طاعة الله والبعد عما حرم الله .

٣ - وجوب طاعة الله ورسوله وولاة المسلمين من حكام وعلماء وفقهاء ؛ لأن طاعة الرسول من طاعة الله ، وطاعة ولى الأمر من طاعة الرسول لقوله ﷺ : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن عصى أميرى فقد عصانى » .

٤ - وجوب رد المتنازع فيه عقيدة أو عبادة أو قضاء إلى الكتاب والسنة ووجوب الرضا بقضائهما .

٥ - العاقبة الحميدة والحياة السعيدة فى رد أمة الإسلام أمورها وما تتنازع فيه إلى كتاب ربها وسنة نبيها .

معاني الكلمات :

الطاغوت : كل ما عبد من دون الله ورضي بذلك .

يصدون : يعرضون .

قولاً بليغاً : قولاً يبلغ من نفوسهم غاية التأثير .

فيما شجر بينهم : فيما اختلفوا فيه .

حرجاً مما قضيت : ضيقاً من قضائك وحكمك .

ويسلموا تسليماً : يخضعوا لحكمك ويسلموا به .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعرف موقف المنافقين من

التحاكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

٢ - أن ندرك حقيقة الإيذان ومقتضاه في التسليم لكتاب الله وهدى الرسول ﷺ .

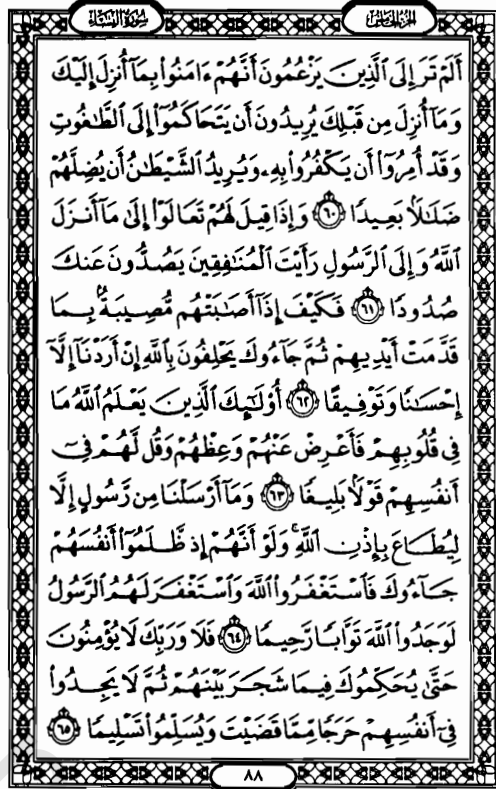
٣ - بيان خطر المنافقين على الإسلام ، وضرورة الحذر منهم مع الاستمرار في نصحتهم وإرشادهم .

٤ - أن نعرف واجب الدعاة إلى الله ، وكيف يارسون الدعوة ، وكيف يتعاملون مع كل طوائف المجتمع .

المحتوى التربوي :

بعد أن قرر السياق في الآيات السابقة ضرورة التحاكم إلى الله والرسول في كل شيء وجعل هذه القاعدة شرطاً للإيذان وحداً للإسلام ، ونظاماً أساسياً للأمة المسلمة . يلتفت إلى الذين ينحرفون عن هذه القاعدة ؛ ثم يزعمون - بعد ذلك - أنهم مؤمنون ! وهم ينقضون شرط الإيذان وحد الإسلام ! إذ يريدون أن يتحاكموا إلى غير شريعة الله ، إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به .

ويقول صاحب الظلال: «يلتفت إليهم ليعجب من أمرهم ويستنكر . وليحذرهم - وأمثالهم - من إرادة الشيطان بهم الضلال ، ويصف حالهم حين يدعون إلى ما أنزل الله وإلى الرسول



فيصدون ، ويعتبر هذا الصدود نفاقاً ، كما اعتبر إرادتهم التحاكم إلى الطاغوت خروجاً من الإيمان - بل وعدم الدخول فيه ابتداء - كما يصف معاذيرهم الواهية الكاذبة في اتباع هذه الخطة المستنكرة ، حين تجر عليهم الوبال والنكال ، ومع هذا كله فهو يوجه رسول الله ﷺ إلى النصيح لهم وموعظتهم ، ويختتم المقطع كله ببيان ما أَرَادَهُ اللهُ - سبحانه - من إرسال الرسل ، وهو أن يطاعوا ، ثم بنص صريح جازم في شرط الإيمان وحد الإسلام مرة أخرى ..

يقول صاحب المنار: « قال الأستاذ الإمام - محمد عبده : وقد ذكر المفسرون أسباباً متعددة لنزول هذه الآية : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ يمنعنا اختلافها وتشتت رواياتها أن نجزم بواحدة معينة منها وإنما نسترشد بمجموعها إلى معرفة حال من أعرضوا عن حكم الرسول ﷺ وقد تقدم أن « الطاغوت » مصدر الطغيان وهو يصدق على كل من جاءت الروايات في سبب نزول الآيات بالتحاكم إليهم (كما قرأت آنفاً) ، ومن قصد التحاكم إلى أى حاكم يريد أن يحكم له بالباطل ويهرب إليه من الحق ، فهو مؤمن بالطاغوت ولا كذلك الذى يتحاكم إلى من يظن أنه يحكم بالحق ، وكل من يتحاكم إليه من دون الله ورسوله ممن يحكم بغير ما أنزل الله على رسوله فهو راغب عن الحق إلى الباطل وذلك عين الطاغوت الذى هو بمعنى الطغيان الكثير ، ويدخل في هذا ما يقع كثيراً من تحاكم الخصمين إلى الدجالين كالعرافين وأصحاب المندل والرملة ومدعى الكشف ويخرج المحكم في الصلح وكل ما أذن به الشرع مما هو معروف . »

ونحن نجد في هذه المجموعة من الآيات ، تحديداً كاملاً دقيقاً حاسماً لشرط الإيمان وحد الإسلام ، وتتجلى الشهادة الواضحة من الله سبحانه - بعدم إيمان الذين ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ ، ولا يدخلون في زمرة الإيمان والمؤمنين حتى يرجعوا إلى الرسول ﷺ ويحكموه في شؤونهم وأقضيتهم ، ثم يطيعوا حكمه ، وينزلوا على قضائه ، طاعة ملؤها الرضا والتسليم ، لا عجزاً وقهراً ولكن طمأنينة وارتضاء .

وذلك لأن المقتضى الفطرى البدهى للإيمان ، أن يتحاكم الإنسان إلى ما آمن به ، وإلى من آمن به . فإذا زعم أنه آمن بالله وما أنزل ، وبالرسول وما جاء به . ثم دعى إلى هذا الذى آمن به ، ليتحاكم إلى أمره وشرعه ومنهجه ؛ كانت التلبية الكاملة هى البدهية الفطرية . فأما حين يصد ويأبى فهو يخالف البدهية الفطرية ، ويكشف عن النفاق ، وينبئ عن كذب الزعم الذى زعمه من الإيمان !

ويتنقل السياق ليعرض مظهراً من مظاهر النفاق في سلوكهم ؛ حين يقعون في ورطة أو كارثة بسبب عدم تلييتهم للدعوة إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ؛ أو بسبب ميلهم إلى التحاكم إلى الطاغوت ومعاذيرهم الواهية فيحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً ! وهى دائماً دعوى كل ما من يحيدون عن الاحتكام إلى منهج الله وشريعته ، والله يعلم خبايا ضمائرهم ومكنونات

صدورهم . ومع ذلك يرغبهم الله في العودة والتوبة والاستقامة والاطمئنان إلى كنف الله وكنف رسوله بعد كل ما بدا منهم من الميل إلى الاحتكام إلى الطاغوت ؛ ومن الصدود عن الرسول ﷺ حين يدعون إلى التحاكم إلى الله والرسول ، فالتوبة بابها مفتوح ، والعودة إلى الله لم يفت أوانها بعد ؛ واستغفارهم الله من الذنب ، واستغفار الرسول لهم ، فيه القبول ! ولكنه قبل هذا كله يقرر القاعدة الأساسية : وهى أن الله قد أرسل رسله ليطاعوا - بإذنه - لا ليخالف عن أمرهم . ولا ليكونوا مجرد وعاظا ! ومجرد مرشدين !

وأخيراً يحىء البيان الحاسم الجازم : إذ يقسم الله - سبحانه - بذاته العلية ، أنه لا يؤمن مؤمن حتى يحكم رسول الله ﷺ في أمره كله . ثم يمضى راضياً بحكمه ، مسلماً بقضائه ليس في صدره حرج منه ، ولا في نفسه تلجلج في قبوله .

ويقول صاحب الظلال : « وإذا كان يكفى لإثبات « الإسلام » أن يتحاكم الناس إلى شريعة الله وحكم الرسول ﷺ فإنه لا يكفى في « الإيمان » هذا ، ما لم يصحبه الرضا النفسى ، والقبول القلبي ، وإسلام القلب والجنان ، في اطمئنان ! هذا هو الإسلام ، وهذا هو الإيمان ، فلتنظر نفس أين هى من الإسلام ؛ وأين هى من الإيمان ! قبل ادعاء الإسلام وادعاء الإيمان ! ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن من لم يطع الله ورسوله وأولى الأمر من المؤمنين فقد خرج على منهج الله ، فإن كان خروجه صريحاً فهو الكفر ، وإن كان غير صريح فهو النفاق ، بمعنى أنه لا منجى من الكفر والنفاق إلا بطاعة الله ورسوله وأولى الأمر من المؤمنين أى باتباع المنهج .

٢ - أن الله تعالى أرسل رسله ليطاعوا بإذنه تعالى ، فمن عصاهم استحق عقاب الله تعالى واستغفر له الرسول ﷺ وتاب الله عليه ورحمه .

٣ - الدعوة إلى الله واجب على كل مسلم ، وأساليب الدعوة ووسائلها التى حددها الله تعالى هى الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هى أحسن .

٤ - أن الالتجاء إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا يمكن أن يؤدي بالناس إلى حرج أو مشقة أو ضلال عن الحق والخير والهدى ، فتلك مسلمات لدى المؤمنين بالله ورسوله المسلمين أمورهم لهنهجه ونظامه عن رضا وطاعة يحركها الحب والثقة .

٥ - لا إيمان لمن لم يحتكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، مع الرضا والتسليم والخضوع لما أمر به الله ورسوله .

معاني الكلمات :

أن اقتلوا أنفسكم : أى عرضوا أنفسكم للقتل بالجهاد . اخرجوا من دياركم : هاجروا . أشد تثبيتاً : أقرب إلى ثبات الإيمان . الصديقين : الذين يصدقون أقوالهم بأفعالهم دائماً . انفروا ثبات : فاخرجوا للجهاد جماعات متفرقين .

ليبطئن : ليتأقلمن ويتخلفن عن الجهاد .

يشرون : يبيعون . فى سبيل الله : لإعلاء دينه . نؤتيه : نعطيه .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان أن تكاليف الله فى مقدور العباد ، والإسلام منهج يسر فى حدود استطاعة كل البشر .



٢ - بيان أهمية وفضل طاعة الله ورسوله فى الدنيا والآخرة .

٣ - تصحيح مفهوم البلاء وبيان السلوك الصحيح للمسلم فى التعامل مع سنن الله وقدره .

المحتوى التربوى :

انتهت الآيات السابقة بتقرير قاعدة أساسية فى التصور الإسلامى ؛ وهى أنه لا إيمان قبل تحكيم رسول الله ﷺ وقبل الرضا والتسليم بقضائه ، وفى هذه الآيات يعود ليقول : إن هذا المنهج الذى يدعو إليه ؛ وهذه الشريعة التى يقال لهم : تحاكموا إليها - لا لسواها - وهذا القضاء الذى يتحتم عليهم قبوله والرضا به .. إنه منهج ميسر ، وشريعة سمحة ، وقضاء رحيم إنه لا يكلفهم شيئاً فوق طاقتهم ؛ ولا يكلفهم عتاً يشق عليهم ؛ ولا يكلفهم التضحية بعزيز عليهم .. فالله يعلم ضعف الإنسان ؛ ويرحم هذا الضعف . والله يعلم أنهم لو كلفوا تكاليف شاقة ، ما أداها إلا قليل منهم .. وهو لا يريد لهم العنت ، ولا يريد لهم أن يقعوا فى المعصية . ومن ثم لم يكتب عليهم ما يشق ، وما يدعو الكثيرين منهم للتقصير والمعصية . ولو أنهم استجابوا للتكاليف اليسيرة التى كتبها الله عليهم ، واستمعوا للموعظة التى يعظهم الله بها ؛ لنالوا خيراً عظيماً فى الدنيا والآخرة ؛ ولأعانهم الله بالهدى ، كما يعين كل من يجاهد للهدى بالعزم والقصد والعمل والإرادة فى حدود الطاقة .

يقول صاحب الظلال : « إن هذا المنهج ميسر لينهض به كل ذى فطرة سوية إنه لا يحتاج إلى العزائم الخارقة الفائقة ، التى لا توجد عادة إلا فى قلة من البشر . وهذا الدين لم يجرى لهذه القلة القليلة . إنه جاء للناس جميعاً . والناس معادن ، وألوان ، وطبقات . من ناحية القدرة على النهوض بالتكاليف . وهذا الدين يُيسر لهم جميعاً أن يؤدوا الطاعات المطلوبة فيه ، وأن يكفوا عن المعاصى التى نهى عنها » .

وقتل النفس ، والخروج من الديار .. مثلاً للتكاليف الشاقة ، التى لو كتبت عليهم ما فعلها إلا قليل منهم . وهى لم تكتب ، لأنه ليس المراد من التكاليف أن يعجز عنها عامة الناس وأن ينكل عنها عامة الناس . بل المراد أن يؤديها الجميع ، وأن يقدر عليها الجميع ، وأن يشمل موكب الإيمان كل النفوس السوية العادية ؛ وأن ينتظم المجتمع المسلم طبقات النفوس ، وطبقات الهمم ، وطبقات الاستعدادات ؛ وأن ينميها جميعاً ويرقيها ، فى أثناء سير الموكب الحافل الشامل العريض !

قال ابن جريج : حدثنا المثنى إسحاق أبو الأزهر ، عن إسماعيل ، عن أبى إسحاق السبيعي قال : لما نزلت : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ ... الآية : قال رجل : لو أمرنا لفعلنا ، والحمد لله الذى عافانا .. فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : « إن من أمتى لرجالاً الإيمان أثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى » .

ويستأنف السياق انسيابه الشجى فى الترغيب ؛ واستجاشة القلوب ؛ والتلويح للأرواح بالمتاع الحبيب .. متاع الصحبة فى الآخرة للنيين والصدّيقين والشهداء والصالحين لمن أطاع الله ورسوله ، ولقد كان هذا الأمر يشغل قلوب الصحابة وأرواحهم .. أمر الصحبة للرسول ﷺ فى الآخرة .. كما كانت فى الدنيا .. وقد ذاقوا طعم الصحبة فى الدنيا ! وإنه لأمر يشغل كل قلب ذاق محبة هذا الرسول الكريم . فعن ربيعة الأسلمى ، أنه قال : كنت أبيت عند رسول الله ﷺ فأتته بوضوئه وحاجته فقال لى : « سل » فقلت : يا رسول الله أسألك مرافقتك فى الجنة فقال : « أو غير ذلك ؟ » . قلت : هو ذاك قال : « فأعنى على نفسك بكثرة السجود » .

وينتقل سياق الآيات هنا نقلة جديدة ليخوض معركة ميدانها النفس البشرية ضد الهواجس والوساوس وسوء التصور ورواسب الجاهلية والضعف البشرى - حتى ولو لم يكن صادراً عن نفاق أو انحراف . ليسوسها بمنهجه الربانى لتصل إلى مرتبة القوة والتناسق فى الصف المسلم .

وهنا فى هذا الدرس يرسم الخطة العامة للحركة الإسلامية داخل أرض المعركة من أخذ للحذر من العدو ، والاستنفار العام الجماعى فى جماعات نظامية ، ثم يسلط السياق الأضواء الكاشفة لدخائل النفوس ويرسم حقيقتها من التباطؤ والتلكؤ ؛ وعدم المصارحة ليمسكوا العصا من الوسط كما يقولون ! وتصورهم للريح والخسارة بمنطق المنافقين وضعاف النفوس

والتخلف المقيت عن المعركة .. فإن أصابت المجاهدين محنة ، وابتلوا الابتلاء المنتظر في بعض الأحيان - فرح المخلفون ؛ وحسبوا أن فرارهم من الجهاد ، ونجاتهم من الابتلاء نعمة ! فأما إذا كانت الأخرى .. فانتصر المجاهدون ؛ الذين خرجوا مستعدين لقبول كل ما يأتيهم به الله .. وناهم فضل من الله بالنصر والغنيمة .. ندم المتخلفون أن لم يكونوا شركاء في معركة رابحة ! رابحة بحسب مفهومهم القريب والقاصر للربح والخسارة !

يقول صاحب الظلال : « إن المؤمن لا يتمنى البلاء بل يسأل الله العافية . ولكنه إذا ندب للجهاد خرج - غير متناقل - خرج يسأل الله إحدى الحسنين : النصر أو الشهادة ؛ وكلاهما فضل من الله ؛ وكلاهما فوز عظيم فيقسم له الله الشهادة ، فإذا هو راض بما قسم الله ؛ أو فرح بمقام الشهادة عند الله . ويقسم له الله الغنيمة والإياب ، فيشكر الله على فضله ، ويفرح بنصر الله . لا لمجرد النجاة !

وأخيراً يمضى السياق يحاول أن يرفع ويطلق هؤلاء المبطلين الثقليين بالطين وأن يوقظ في حسهم التطلع إلى ما هو خير وأبقى .. الآخرة .. وأن يدفعهم إلى بيع الدنيا وشراء الآخرة . ويعدهم على ذلك فضل الله في الحالتين ، وإحدى الحسنين النصر أو الشهادة .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن الله تعالى - لرحمته بعباده وعلمه بضعفهم - لم يكلفهم بما يشق عليهم ولا بما يفوق طاقتهم وقدراتهم .

٢ - أن مقتضى الإيذان الصحيح الراسخ أن الله تعالى لو كلف عباده بما يشق عليهم أن يستجيبوا ، وأولئك قلة من المؤمنين الذين لو كلفوا بقتل أنفسهم لفعلوا ولكن الله تعالى لم يكلفهم بذلك .

٣ - أن المؤمن يجب أن يقبل على أداء ما كلفه الله به ، موقناً أن ذلك في حدود استطاعته ، وأن فيه الخير بإذن الله تعالى .

٤ - أن طاعة الله ورسوله تلحق الطائعين بأعلى الدرجات ، وأرفعها عند الله ؛ إذ يتشرف الطائعون بمعية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في الجنة ، وهذه هي أحسن الرفقة .

٥ - المؤمن لا يتمنى البلاء بل يسأل الله العافية ، وإذا ندب للجهاد خرج - غير متناقل سائلاً الله عز وجل : النصر أو الشهادة وكلاهما عنده سواء .

معاني الكلمات :

القرية : مكة . من لذك : من عندك .

ولياً : معيناً . كيد الشيطان : احتياله للفساد .

كفوا أيديكم : اتركوا القتال . أجل :

ميعاد . فتيلاً : الخيط يكون في شق نواة

التمر . بروج : قصور وحصون . مشيدة :

حكمة أو مطولة ومرتفعة . يفقهون :

يفهمون .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

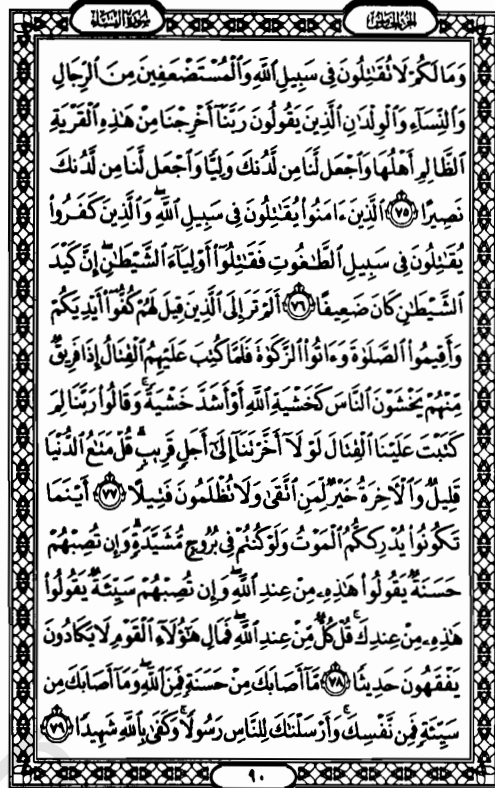
١ - بيان الغاية والهدف من الجهاد في

سبيل الله وأحكامه وآدابه .

٢ - الإخبار بصفات المنافقين عند

دعوتهم للجهاد في سبيل الله ليحذرهم

المؤمنون .



٣ - بيان عاقبة الحماسة وفضيلة التوذة والانضباط بأوامر الله وتوجيهات النبي ﷺ .

المحتوى التربوي :

في الآيات السابقة سعى السياق لاستنهاض الهمم ورفعها إلى الآفاق السامية ، فعلقها بالرجاء في فضل الله العظيم في كلا الحالين : النصر أو الاستشهاد ، وهون عليها ما نخشاه من القتل ، وصوب تصورهما للغنيمة التي ترجوها ، وفي هذه الآيات يلتفت السياق إلى المسلمين من الحكاية عن أولئك المبطلين إلى استجاشة مروءة النفوس وحساسية القلوب ؛ تجاه المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ؛ الذين كانوا يقاسون في مكة ما يقاسون على أيدي المشركين غير قادرين على الهجرة إلى دار الإسلام والفرار بدينهم وعقيدتهم ؛ وهم يتطلعون إلى الخلاص ، ويدعون الله أن يجعل لهم مخرجاً من دار الظلم والعدوان ، يلتفت هذه الالتفاتة ليوحى إليهم . بسمو القصد ، وشرف الغاية ، ونبيل الهدف في هذه الدعوة ، وهذا القتال الذي يدعوهم إليه ، غير متساقلين ولا مبطلين .

ثم لفتة نفسية أخرى ، لاستنهاض الهمم واستجاشة العزائم ، وإنارة الطريق لوضوح الرؤية ، وتحديد الغاية والهدف التي يعمل لها كل فريق . فالذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ؛ لتحقيق

منهجه وإقرار شريعته ، وإقامة العدل بين الناس باسم الله ، لا تحت أى عنوان آخر اعترافاً بأن الله وحده هو الإله ومن ثم فهو الحاكم ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت لتحقيق مناهج شتى - غير منهج الله - وإقرار شرائع وقيم شتى غير شرائع وقيم الله ؛ ويقف الذين آمنوا مستندين إلى ولاية الله وحمايته ورعايته ، ويقف الذين كفروا مستندين إلى ولاية الشيطان بشتى راياتهم ، وشتى مناهجهم وشتى شرائعهم وطرائقهم فكلهم أولياء الشيطان ؛ لذا يأمر الله الذين آمنوا أن يقاتلوا أولياء الشيطان ؛ ولا يخشوا مكرهم ولا مكر الشيطان : ﴿ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ .

يقول صاحب الظلال : « وهكذا يقف المسلمون على أرض صلبة ، مسندين ظهورهم إلى ركن شديد . مقتنعى الوجدان بأنهم يخوضون معركة لله ، ليس لأنفسهم منها نصيب ، ولا لذواتهم منها حظ . وليست لقومهم ، ولا لجنسهم ، ولا لقرباتهم وعشيرتهم منها شئ .. إنما هى لله وحده ، ومنهجه وشريعته . وأنهم يواجهون قوماً أهل باطل ؛ يقاتلون لتغليب الباطل على الحق ، .. ولتغليب ظلم البشر على عدل الله ، كذلك يخوضون المعركة وهم يوقنون أن الله وليهم فيها . وأنهم يواجهون قوماً ، الشيطان وليهم فهم إذن ضعاف .. إن كيد الشيطان كان ضعيفاً .

ومن هنا يتقرر مصير المعركة فى حس المؤمنين ، وتتحدد نهايتها . قبل أن يدخلوها . وسواء بعد ذلك استشهد المؤمن فى المعركة - فهو واثق من النتيجة - أم بقى حتى غلب ، ورأى بعينه النصر ؛ فهو واثق من الأجر العظيم .

ثم يتعجب الله فى سياق الآيات بعد هذا من أمر طائفة أو أكثر من المسلمين قيل : إن بعضهم من المهاجرين الذين كانت تشدد بهم الحماسة - وهم فى مكة يلقون الأذى والاضطهاد - ليؤذن لهم فى قتال المشركين . حيث لم يكن مأذوناً لهم - بعد - فى قتال ، للحكمة التى يعلمها الله ، ... فلما كتب عليهم القتال ، بعد أن قامت للإسلام دولة فى المدينة ، وعلم الله أن فى هذا لإذن خيراً لهم وللبرية .. إذ هم - كما يصورهم القرآن : ﴿ تَحْشَوْنَ النَّاسَ كَحَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ حَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ ممن إذا أصابتهم الحسنة قالوا : هذه من عند الله . وإن أصابتهم السيئة قالوا للرسول ﷺ : ﴿ هَٰذَا مِنْ عِنْدِكَ ﴾ . ومن يقولون : طاعة حتى إذا خرجوا من عندك الرسول ﷺ بيئت طائفة منهم غير الذى تقول ، ومن إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ..

يقول صاحب الظلال : « إن أشد الناس حماساً واندفاعاً وتهوراً ، قد يكونون هم أشد الناس جزعاً وانهاراً وهزيمة عندما يجد الجد ، وتقع الواقعة .. بل إن هذه قد تكون القاعدة ! ذلك أن الاندفاع والتهور والحماسة الفائقة غالباً ما تكون منبعثة عن عدم التقدير لحقيقة التكليف . لا عن شجاعة واحتمال وإصرار . كما أنها قد تكون منبعثة عن قلة الاحتمال . قلة احتمال الضيق

والأذى والهزيمة ، فتدفعهم قلة الاحتمال ، إلى طلب الحركة والدفع والانتصار بأى شكل . دون تقدير لتكاليف الحركة والدفع والانتصار .. حتى إذا ووجهوا بهذه التكاليف كانت أثقل مما قدروا ، وأشق مما تصوروا ، فكانوا في أول الصف جزءاً ونكولاً وانهاراً .. على حين يثبت أولئك الذين كانوا يمسكون أنفسهم ، ويحتملون الضيق والأذى بعض الوقت ؛ ويعدون للأمر عدته ، ويعرفون حقيقة تكاليف الحركة ، ومدى احتمال النفوس لهذه التكاليف فيصبرون ويتمهلون ويعدون للأمر عدته ، والمتهورون المندفعون المتحمسون يحسبونهم إذ ذاك ضعافاً ، ولا يعجبهم تمهلهم ووزنهم للأمور ! وفي المعركة يتبين أى الفريقين أكثر احتمالاً ؛ وأى الفريقين أبعد نظراً كذلك !

يقول صاحب الظلال : « إن الله هو الفاعل الأول ، لكل ما يقع في الكون ، وما يقع للناس منهم ، فالناس يملكون أن يتجهوا وأن يحاولوا . ولكن تحقق الفعل - أى فعل لا يكون إلا بإرادة من الله وقدر فنسبة إنشاء الحسنة أو إنشاء السيئة ، وإيقاعها بهم ؛ للرسول ﷺ وهو بشر منهم مخلوق مثلهم - نسبة غير حقيقية » .

إن الإنسان قد يتجه ويحاول تحقيق الخير ؛ بالوسائل التي أرشد الله إلى أنها تحقق الخير . ولكن تحقيق الخير فعلاً يتم بإرادة الله وقدره . لأنه ليست هناك قدرة - غير قدرة الله - تنشئ الأشياء والأحداث وتحقق ما يقع في هذا الكون من وقائع . وإذن يكون تحقيق الخير - بوسائله التي اتخذها الإنسان وباتجاه الإنسان وجهده - عملاً من أعمال القدرة الإلهية . وكذلك عند الاتجاه إلى تحقيق السوء .. لأنه ليس هناك قدرة منشئة للأشياء في هذا الكون غير قوة الله .
ما ترشدنا إليه الآيات تروياً :

- ١ - إن من سنة الله تعالى مع خلقه أن تكون حياتهم الدنيا مجالاً للكد والكيد والصراع بين الحق والباطل والإيمان والكفر ، وأن المؤمنين على الدوام لهم أعداء يكيدون ويتربصون بهم الدوائر .
- ٢ - أن من الحذر من العدو أن يواجهه بالأسلوب والخطوة والحشد والتسلح الملائم لظروف العدو ، ولما يملكه هو من وسائل وآلات حربية .
- ٣ - أن صفوف المسلمين لا تخلو غالباً من المنافقين الذين لا يحبون أن ينفروا في الحرب متعللين بأوهى الأسباب مثبتين لغيرهم عن النفير في سبيل الله .
- ٤ - أن قتال الشياطين وأوليائهم واجب ؛ لأن الله تعالى أمر به ، والنصر عليهم سهل وميسور للذين آمنوا وصحت نياتهم ، ووضحت غايتهم ونبل هدفهم للجهاد في سبيل الله .

معاني الكلمات :

تولى : أعرض . حفيظاً : رقيباً وحافظاً
ومسيطرأ . برزوا : خرجوا . بيت طائفة :
دبرت جماعة الأمر ليلأ . يتدبرون : يتأملون
أزاعوا به : أشاعوه ونشروه . يستنبطونه :
يستخرجون تدبيره . حرص المؤمنين :
حثمهم . أشد تنكيلاً : أشد تعذيباً وعقاباً .

شفاعة : طلب المعاونة والسعى في مصالح
الناس . كفل : نصيب وحظ . مقيتاً :
مقتدرأ أو حفيظأ . حسيبأ : محاسبأ ومجازياً ،
أو شهيدأ .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان أهمية طاعة الله ورسوله وأثرها
في التمكين للأمة .

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ
عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿٨٨﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ
عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ
مَا يُنِيسُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا
﴿٨٩﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَقَ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا
فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٩٠﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ
أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى
الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتُهُ لَفُتِنُوا الشَّيْطَانُ إِلَّا لَاقِلِيلًا ﴿٩١﴾
فَقَنِيلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْلَفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحِرْصَ الْمُؤْمِنِينَ
عَنِ اللَّهِ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا
وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴿٩٢﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ
نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِيبًا ﴿٩٣﴾ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِنَجَاحٍ فَخَيُّوا
بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٩٤﴾

٢ - بيان فضل تدبر القرآن الكريم وأثره في زيادة الإيمان .

٣ - أن نعرف أخلاق الصف المسلم وقت السلم والحرب .

٤ - بيان أهمية إفشاء السلام في المجتمع وأثره في تدعيم المودة والحب .

المحتوى التربوي :

في هذه الآيات يبين الله وظيفة الرسول ﷺ وعمله وموقف الناس منه ، وموقفه من الناس
ويرد الأمر كله إلى الله في النهاية : فوظيفة الرسول هي أداء الرسالة . لا إحداث الخير ولا
إحداث السوء . فهذا من أمر الله والله شهيد على أنه أرسل النبي ﷺ لأداء هذه الوظيفة ﴿ وَكَفَى
بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ . وأمر الناس مع الرسول ﷺ أن من أطاعه فقد أطاع الله ، ومن تولى معرضاً مكذباً
فأمره إلى الله من ناحية حسابه وجزائه ولم يرسل الرسول ﷺ ليجبره على الهدى ، ويكرهه على
الدين ، وليس موكلاً بحفظه من العصيان والضلال ، فهذا ليس داخلأ في وظيفة الرسول ؛ ولا
داخلأ في قدرة الرسول .

ويقول صاحب الظلال : « بهذا البيان يصحح تصورهم عن حقيقة ما يقع لهم .. فكله لا
ينشأ ولا يتحقق إلا بإرادة الله وقدره ، وما يصيبهم من حسنة أو سيئة - فهو من عند الله ، لأنه

بسبب منهجه وهدايته ، وما يصيبهم من سيئة حقيقية - في ميزان الله - فهو من عند أنفسهم ، لأنه بسبب تنكبهم عن منهج الله والإعراض عن هدايته .

بعد ذلك يحكى السياق عن حال طائفة أخرى - في الصف المسلم - لعلها طائفة المنافقين يذكر عنها فعلاً جديداً ، وينفر منه فهذا الفريق من الناس إذا كان عند رسول الله ﷺ يسمع منه القرآن وما فيه من التكاليف .. قالوا : « طاعة » قالوها هكذا جامعة شاملة طاعة مطلقة لا اعتراض ولا استفهام ولا استيضاح ولا استثناء ! ولكن ما إن يخرجوا من عند رسول الله ﷺ حتى تبیت طائفة منهم غير الذى تقول ، وتروح فيما بينها تتأمر على عدم التنفيذ ؛ وعلى اتخاذ خطة للتخلص من التكاليف .

والله - سبحانه - يطمئن النبى ﷺ والمخلصين في الصف يطمئنهم بأن عينه على هذه الطائفة التى تبیت وتمكر . لذا وجه الله عز وجل نبيه للإعراض والتغاضى عما يدير منهم ، ويأخذهم بظواهرهم لا بحقيقة نواياهم وبعد ذلك وقبله كفى بالله وكيلاً فلا يضار من كان الله وكيله ، ولا يناله تأمر ولا مكيدة .

ويأتى التوجيه والإكرام للإنسان لاحترام إدراكه وشخصيته ودعوتها لتدبر القرآن وملاحظة التناسق المطلق الشامل الكامل للقرآن وهى الظاهرة التى لا يخطئها من يتدبر هذا القرآن أبداً ومن ثم فإن كل أحد ، وكل جيل ، مخاطب بهذه الآية ، ومستطيع - عند التدبر وفق منهج مستقيم - أن يدرك من هذه الظاهرة - ظاهرة عدم الاختلاف ، أو ظاهرة التناسق - ما تهيه له قدرته وثقافته وتجربته وتقواه .

ويرسم السياق صورة طائفة أخرى ، وهى جماعة في المعسكر الإسلامى ، لم تألف نفوسهم النظام ؛ ولم يدركوا قيمة الإشاعة في خلخلة المعسكر ؛ وفي النتائج التى تترتب عليها ، وقد تكون قاصمة ؛ لأنهم لم يرتفعوا إلى مستوى الأحداث ؛ ولم يدركوا جدية الموقف ؛ وأن كلمة عابرة وفلتة لسان ، قد تجر من العواقب على الشخص ذاته ، وعلى جماعته كلها ما لا يخطر له ببال ؛ وما لا يتدارك بعد وقوعه بحال !

ويقول صاحب الظلال : فهممة الجندى المسلم في الجيش المسلم ، الذى يقوده أمير مؤمن - بشرط الإتيان ذاك وحده - حين يبلغ إلى أذنيه خبر ، أن يسارع فيخبر به نبيه أو أميره . لا أن ينقله ويذيعه بين زملائه ؛ أو بين من لا شأن لهم به لأن قيادته المؤمنة هى التى تملك استنباط الحقيقة ، كما تملك تقدير المصلحة في إذاعة الخبر - حتى بعد ثبوته - أو عدم إذاعته .

وحين يصل السياق إلى هذا الحد من تقويم عيوب الصف ؛ التى تؤثر في موقفه في الجهاد وفي الحياة عندئذ ينتهى إلى قمة التحضيض على القتال ، الذى لا يقعد الفرد عنه تبطئة ولا تخذيل ،

ولا خلل في الصف ، ولا وعورة في الطريق . حيث يوجه الخطاب إلى الرسول ﷺ بأنه يقاتل - ولو كان وحيداً - فإنه لا يحمل في الجهاد إلا تبعة شخصه ﷺ وفي الوقت ذاته يحرض المؤمنين على القتال .. وكذلك يوحى إلى النفوس بالطمأنينة ورجاء النصر : فالله هو الذى يتولى المعركة . والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً .

ويقرر السياق قاعدة عامة في الشفاعة وهى تشمل التوجيه والنصح والتعاون ؛ فالذى يشجع ويحرض ويعاون على القتال في سبيل الله ، يكون له نصيب من أجر هذه الدعوة وآثارها ، والذى يبطئ ويبطئ تكون له تبعة فيها وفي آثارها .. « وكلمة ﴿ كَيْفَ! ﴾ توحى بأنه متكفل بجرائرها .

ثم يستطرد السياق بعد ذكر الشفاعة إلى الأمر برد التحية بخير منها أو بمثلها . والتحية في المجتمع علاقة من العلاقات التى تدور بها عجلة الحياة في سر ، إذا اتبع الأدب الواجب فيها ، وهذا التشريع حرص من المولى عز وجل على توثيق علاقات المودة والقربى بين أفراد الجماعة المسلمة .. وإفشاء السلام ، والرد على التحية بأحسن منها ، من خير الوسائل لإنشاء هذه العلاقات وتوثيقها ، وقد سئل رسول الله ﷺ أى العمل خير ؟ قال : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

ما ترشدنا إليه الآيات تريبوياً :

١ - وجوب طاعة الرسول ﷺ فإنه لا يُطاع لذاته وإنما يُطاع لذات الله عز وجل ، كما ثبت عنه في الصحيحين قوله ﷺ : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله ... الحديث » .

٢ - وجوب تدبر القرآن فإنه سبيل زيادة الإيمان .

٣ - وجوب التثبت قبل إذاعة أى حديث أو نقله عن الآخرين لما ورد في الصحيح : « من حَدَّثَ بحديث ، وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » وفي سنن أبى داود : « بشئ مطبئة الرجل زعموا » أى الحديث عما يقول الناس من غير تثبت ولا تدبر .

٤ - من يسع في أمر يترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك الخير ، وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ : أنه قال : « اشفعوا تؤجروا ، ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء »

٥ - تأكيد سنة التحية « إلقاء السلام » وجوب ردّها بمثلها أو بأحسن منها .

معاني الكلمات :

لا ريب فيه : لا شك فيه . أركسهم : نكسهم . سواء : مستوين . ميثاق : عهد . حصرت صدورهم : ضاقت وانقبضت . أركسوا فيها : تقلبوا في الفتنة أشنع تقلب . ثقفتموهم : وجدتموهم ، أو تمكثتم منهم . سلطانا مبيناً : حجة واضحة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نبين صفات المنافقين وكيفية التعامل معهم .
- ٢ - أن نعلم أثر المنافقين في خلخلة الصف المسلم ونحذر منهم .
- ٣ - أن نعرف أحكام قتال المنافقين والمشركين .

٤ - أن نعرف شروط الصلح مع غير المسلمين كفاراً ومنافقين .

المحتوى التربوي :

يبدأ هذا الدرس بقاعدة التصور الإسلامي الأساسية .. التوحيد وإفراد الله - سبحانه وتعالى - بالالوهية ؛ ثم يبنى عليها أحكاماً شتى في معاملة المجتمع المسلم مع المعسكرات المختلفة ؛ ويقول صاحب الظلال - رحمه الله : « إنه من توحيد الله - سبحانه - وإفراده بالالوهية تبدأ خطوات المنهج الرباني - سواء في تربية النفوس أم في إقامة المجتمع المسلم ، ووضع شرائعه وتنظيمه ، والاعتقاد في الآخرة ، وجمع الله الواحد لعباده ، ليحاسبهم هناك على ما أتاح لهم في الدنيا من فرص العمل والابتلاء ، تبدأ خطوات هذا المنهج في تربية النفوس ، وإثارة الحساسية فيها تجاه التشريعات والتوجيهات ؛ وتجاه كل حركة من حركاتها في الحياة ، فهو الابتلاء في الصغيرة والكبيرة في الدنيا ؛ والحساب على الصغيرة والكبيرة في الآخرة ، وهذا هو الضمان الأوثق لنفاذ الشرائع والأنظمة ؛ لأنه كامن هنا في أعماق النفس ، حارس عليها ، سهران حيث يغفو الرقباء ويغفل السلطان ! هذا حديث الله - سبحانه - وهذا وعده : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ .



بعد بيان هذا المنهج التربوي للجماعة المسلمة ؛ يستنكر حالة من التميع في مواجهة النفاق والمنافقين ؛ وقلة الحسم في موضع الحسم في معاملة الجماعة المسلمة لهم ؛ وانقسام هذه الجماعة فئتين في أمر طائفة من المنافقين من خارج المدينة ، فيحذر من منافحة المسلمين عن المنافقين لمجرد نطقهم الشهادة بألسنتهم ، بينما هم يظاهرون أعداء المسلمين ، من أجل هذا التميع في فهم فئة من المسلمين ، ومن أجل ذلك الاختلاف في شأن المنافقين في الصف المسلم كان هذا الاستنكار الشديد ، ثم تبعه الإيضاح الإلهي لحقيقة موقف هؤلاء المنافقين . فالله عز وجل أوقعهم فيما هم فيه بسبب سوء نيتهم وسوء عملهم ؟ وهى شهادة من الله حاسمة في أمرهم ، بأنهم واقعون في السوء بما أضمرُوا وبما عملُوا من سوء .

ثم يخطو السياق خطوة في كشف موقف المنافقين ، إنهم لم يضلوا أنفسهم فحسب ؛ ولم يستحقوا أن يوقعهم الله في الضلالة بسعيهم ونيتهم فحسب ، إنما هم كذلك يبتغون إضلال المؤمنين ، ومن ثم فلا ولاية بين المسلمين في دار الإسلام ، وبين غيرهم في دار الحرب ، ودار الحرب هى يومئذ مكة موطن المهاجرين الأول ، لا ولاية حتى يهاجر أولئك الذين يتكلمون بكلمة الإسلام ؛ وينضموا إلى المجتمع المسلم . حيث تكون هجرتهم لله وفى سبيل الله ، من أجل عقيدتهم ، لا من أجل أى هدف آخر ؛ ولإقامة المجتمع المسلم الذى يعيش بالمنهج الإسلامى لا لأى غرض آخر ، بهذه النصاعة ، وبهذا الحسم .

فإن هم فعلوا . فتركوا أهلهم ووطنهم ومصالحهم في دار الحرب ، وهاجروا إلى الإسلام فهم أعضاء في المجتمع المسلم ، وإن لم يفعلوا وأبوا الهجرة ، فلا عبرة بكلمات تقال فتكذبها الأفعال . فإن الإسلام لا يتسامح في وصف جماعة من المنافقين بأنهم مؤمنون ؛ لأنهم شهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . ثم بقوا في دار الكفر ، يناصرون أعداء المسلمين !

ومن هنا قال تعالى محرمات مواليتهم إلى أن يقاتلوا فقال : ﴿ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ تعولون عليهم في نصرتهم على إخوانهم في الكفر حتى يهاجروا ؛ لأن الهجرة تقطع صلاتهم بدار الكفر وإن تولوا عن هذا الإيذان الصحيح إلى النفاق والكفر ، فأعلنوا الحرب عليهم ؛ لأنهم بارتكاسهم لا خير فيهم ولا يعول عليهم ، واستثنى صنفين من المنافقين المذكورين ، فلا يأخذونهم أسرى ولا يقاتلونهم ، الصنف الأول الذين ذكرهم تعالى بقوله ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ ﴾ أى يلجؤون ﴿ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ﴾ ، والصنف الثانى قوم ضاقت صدورهم بقتالكم ، وقاتل قومهم فهؤلاء الذين لم يستسيغوا قتالكم ولا قتال قومهم إن اعتزلوكم ، فلم يقاتلوكم فلا تأخذوهم ولا تقتلوهم واصبروا عليهم ، إذ لو شاء الله لسلبهم عليكم فلقاتلوكم ، هذا الصنف هو المعنى بقوله تعالى : ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ فما دام الله تعالى قد كفهم عنكم فكفوا أنتم عنهم .

هذا وهناك صنف آخر ذكر تعالى حكم معاملته في الآية الأخيرة من هذا المقطع ، وهى قوله تعالى : ﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ ﴾ غير الصنفين السابقين ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ ﴾ إذا كانوا معكم عبدوا الله وحده ، وإذا كانوا مع قومهم عبدوا الأوثان لمجرد دعوة يدعونها يلبون فيرتدون إلى الشرك ، فهؤلاء إن لم يعتزلوا قتالكم ولبقوا إليكم السلام ، وهو الإذعان والانقياد لكم ، ويكفوا أيديهم فعلاً عن قتالكم ﴿ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَم جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ أى حجة واضحة على جواز أخذهم وقتلهم حيثما تمكنتم منهم ، وعلى أى حال . هذا ما دلت عليه الآيات الخمس السابقة مع العلم أن الكف عن قتال المشركين قد نسخ بآيات براءة إلا أن لإمام المسلمين أن يأخذ بهذا النظام عند الحاجة إليه ، فإنه نظام ربانى ما أخذ به أحد وخاب أو خسر ، ولكن خارج جزيرة العرب إذ لا ينبغي أن يجتمع فيها دينان .

يقول صاحب الظلال فى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَنْتُمُوكُمْ ﴾ : « وهكذا يلمس المنهج التربوى الحكيم نفوس المسلمين المتحمسين ، الذين قد لا يرضون هذا الموقف من هذا الفريق . يلمسه بما فى هذا الموقف من فضل الله وتديره ؛ ومن كف لجانب من العداء والأذى كان سيضعاف العبء على عاتق المسلمين ، ويعلمهم أن يأخذوا الخير الذى يعرض فلا يرفضوه ، ويجتنبوا الشر الذى يأخذ طريقه بعيداً عنهم ، فلا يناوشوه . طالما أن ليس فى هذا كله تفریط فى شئ من دينهم ، ولا تميع لشئ من عقيدتهم ؛ ولا رضا بالدنية فى طلب السلم الرخيصة ! لقد نهاهم عن السلم الرخيصة ؛ لأنه ليس الكف عن القتال بأى ثمن هو غاية الإسلام .. إنما غاية الإسلام السلم التى لا تحيف حقاً من حقوق الدعوة ، ولا من حقوق المسلمين ، لا حقوق أشخاصهم وذواتهم ؛ ولكن حقوق هذا المنهج الذى يحملونه ويسمون به مسلمين » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن التعامل مع المنافقين يجب أن يكون على ظاهر أمرهم ، لا على حقيقة ما يؤمنون به ، لأن ذلك لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى ؛ لأن القاعدة العامة فى التعامل مع المنافقين هى : « لنا الظاهر والله يتولى السرائر » .

٢ - أن المسلم يجب أن يحترم العهد والميثاق الذى بينه وبين غيره من الناس ، ولا يجوز له نقض عهد إلا إذا أيقن أن عدوه ناقضه ، وأن من دخل فى عهد معاهد للمسلمين وجب على المسلمين رعاية عهده واحترام ميثاقه .

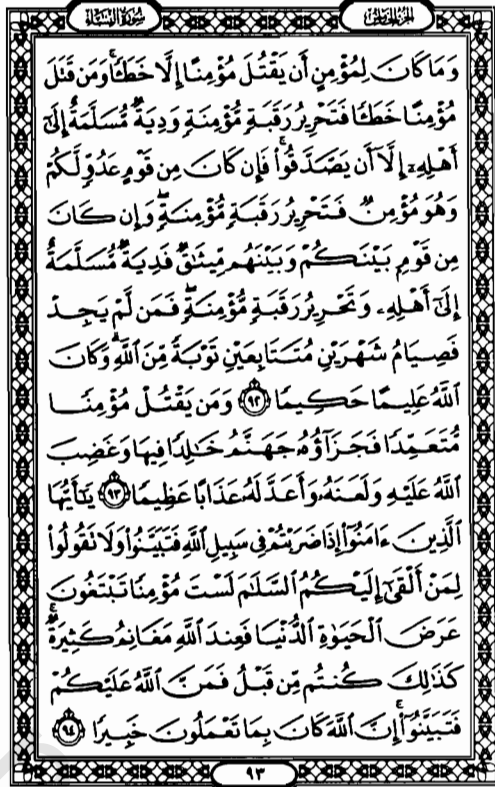
٣ - أن من واجب الدعاة إلى الله أن يحذروا الناس من الكفار والمنافقين ، ومن مكرهم ، وفجورهم ، ومحاولاتهم المستميتة فى أن يجزّوا المؤمنين إلى الكفر والنفاق ؛ حتى يصبحوا مثلهم كراهية منهم للإيمان والمؤمنين ، وحباً فى تحدى الله تعالى ورسوله ومنهجه .

معاني الكلمات :

تحرير رقبة : جعل الإنسان حراً . دية : ما يُعطى من المال عوضاً عن دم القتيل إلى وليه . مسلمة إلى أهله : مدفوعة ومؤداة إلى أهل القتيل . ميثاق : عهد وذمة . فتبينوا : تحققوا وتثبتوا . عرض الحياة الدنيا : الغنيمة وهى متاع زائل .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - بيان شكل علاقة المسلمين بعضهم مع بعض فى كل مكان .
- ٢ - معرفة أحكام القتل الخطأ والعمد .
- ٣ - بيان حرمة دم المسلم وعظم حرمة ماله ودمه عند الله .
- ٤ - بيان الحكمة من خلود قاتل المؤمن عمداً فى النار .



المحتوى التربوى :

فى الآيات السابقة تناول السياق علاقات المسلمين مع المعسكرات الأخرى ، فأما علاقات المسلمين بعضهم مع بعض، مهما اختلفت الديار - فلا قتل ولا قتال.. لا قتل إلا فى حد أو قصاص ، ويقول صاحب الظلال : « فإنه لا يوجد سبب يبلغ من ضخامته أن يفوق ما بين المسلم والمسلم من وشيجة العقيدة . ومن ثم لا يقتل المسلم المسلم أبداً ، وقد ربطت بينها هذه الرابطة الوثيقة ، اللهم إلا أن يكون ذلك خطأ .. وللقتل الخطأ توضع التشريعات والأحكام ، فأما القتل العمد فلا كفارة له ، لأنه وراء الحساب ! ووراء حدود الإسلام !

ولهذه الأحكام أربع حالات : ثلاث منها من حالات القتل الخطأ - وهو الأمر المحتمل وقوعه بين المسلمين فى دار الإسلام ، أو فى ديار مختلفة بين شتى الأقسام - والحالة الرابعة حالة القتل العمد ، وهى التى يستبعد السياق القرآنى وقوعها ابتداء ، ومن ثم يبدأ حديثه عن أحكام القتل الخطأ .

« وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً » .. فهذا هو الاحتمال الوحيد فى الحس الإسلامى ، فإن وجود المسلم إلى جوار المسلم مسألة كبيرة جداً ، ونعمة عظيمة جداً ، ومن العسير تصور أن يقدم مسلم على إزالة هذه النعمة عن نفسه ؛ والإقدام على هذه الكبيرة عن

عمد وقصد . فأما إذا وقع القتل خطأ فهناك تلك الحالات الثلاث ، التى يبين السياق أحكامها هنا :

الحالة الأولى : أن يقع القتل على مؤمن أهله مؤمنون فى دار الإسلام ، ويجب فى هذه الحالة تحرير رقبة مؤمنة ، ودية تسلم إلى أهله ، فأما تحرير الرقبة المؤمنة ، فهو تعويض للمجتمع المسلم عن قتل نفس مؤمنة باستحياء نفس مؤمنة ، وأما الدية فتسكين لثائرة النفوس ، وشراء لخراطير المفجوعين ، وتعويض لهم عن بعض ما فقدوا من نفع المقتول ، ومع هذا يلوح الإسلام لأهل القتل بالعتق ، لأنه أقرب إلى جو التعاطف والتسامح فى المجتمع المسلم .

والحالة الثانية : أن يقع القتل على مؤمن وأهله محاربون للإسلام فى دار الحرب ، وفى هذه الحالة يجب تحرير رقبة مؤمنة لتعويض النفس المؤمنة التى قتلت ، وفقدتها الإسلام . ولكن لا يجوز أداء دية لقومه المحاربين ، يستعينون بها على قتال المسلمين ! ولا مكان هنا لاسترضاء أهل القتل وكسب مودتهم ، فهم محاربون ، وهم عدو للمسلمين .

والحالة الثالثة : أن يقع القتل على مؤمن قومه معاهدون - عهد هدنة أو عهد دمة - ولم ينص على كون المقتول مؤمناً فى هذه الحالة . مما جعل بعض المفسرين يرى النص على إطلاقه . ويرى الحكم بتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله - المعاهدين - ولو لم يكن مؤمناً . لأن عهدهم مع المؤمنين يجعل دماءهم مصونة كدماء المسلمين .

ويقول صاحب الظلال : « ولكن الذى يظهر لنا أن الكلام ابتداء منصب على قتل المؤمن . وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً » . ثم بيان للحالات المتنوعة التى يكون فيها القتل مؤمناً : وإذا كان قد نص فى الحالة الثانية فقال : « فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ » فقد كان هذا الاحتراز مرة أخرى بسبب ملابسة أنه من قوم عدو ، ويؤيد هذا الفهم النص على تحرير رقبة مؤمنة فى هذه الحالة الثالثة ، مما يوحى بأن القتل مؤمن فاعتقت رقبة مؤمنة تعويضاً عنه ، وإلا لكفى عتق رقبة إطلاقاً دون شرط الإتيان ذلك القتل الخطأ .

فأما القتل العمد ، فهو الكبيرة التى لا ترتكب مع إيمان ؛ والتى لا تكفر عنها دية ولا عتق رقبة ؛ وإنما يوكل جزاؤها إلى عذاب الله ؛ لأنها جريمة قتل لا لنفس فحسب - بغير حق - ولكنها كذلك جريمة قتل للوشيجة العزيزة الحبيبة الكريمة العظيمة ، التى أنشأها الله بين المسلم والمسلم . إنها تنكر للإيمان ذاته وللعقيدة نفسها .

ومن ثم قرنت بالشرك فى مواضع كثيرة ؛ واتجه بعضهم - ومنهم ابن عباس - إلى أنه لا توبة منها ، ولكن البعض الآخر استند إلى قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » .. فرجاً للقاتل التائب بالمغفرة ، وفسر الخلود بأنه الدهر الطويل .

يقول صاحب الأساس : « ولقاتل العمد أحكام فى الدنيا ، وأحكام فى الآخرة ، فأما فى الدنيا فتسليط أولياء المقتول عليه ، وهم يخبرون بين أن يقتلوا أو يعفوا ، أو يأخذوا دية مغلظة أثلاثاً ،

ثلاثون حقة، وثلاثون جذعة، وأربعون خِلَقَةً، واختلف الأئمة هل تجب عليه كفارة عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ؟ فالشافعي وأصحابه وطائفة من العلماء يقولون : نعم يجب عليه، وقال الإمام أحمد وأصحابه وآخرون : قتل العمد أعظم من أن يكفر، فلا كفارة فيه .

واحتراساً من وقوع القتل ولو كان خطأ ؛ وتطهيراً لقلوب المجاهدين حتى ما يكون فيها شيء إلا الله، وفي سبيل الله يأمر الله المسلمين إذا خرجوا غزاة ، ألا يبدؤوا بقتال أحد أو قتله حتى يتبينوا ؛ وأن يكتفوا بظاهر الإسلام في كلمة اللسان إذ لا دليل هنا يناقض كلمة اللسان .

وقد وردت روايات كثيرة في سبب نزول الآية ، خلاصتها : أن سرية من سرايا المسلمين لقيت رجلاً معه غنم له . فقال : السلام عليكم . يعنى أنه مسلم . فاعتبر بعضهم أنها كلمة يقولها لينجوها ، فقتله ، ومن ثم نزلت الآية ، تخرج على مثل هذا التصرف ؛ وتنفض عن قلوب المؤمنين كل شائبة من طمع في الغنime ؛ أو تسرع في الحكم .. وكلاهما يكرهه الإسلام ؛ لأن ذلك عرض الحياة الدنيا ، ويذكرهم كيف منَّ عليهم من قبل وطهر نفوسهم ورفع أهدافها ، فلم يعودوا يغزون ابتغاء عرض الحياة الدنيا كما كانوا في الجاهلية .

يقول صاحب الظلال : « إن عرض الحياة الدنيا لا يجوز أن يدخل للمسلمين في حساب ، إذا خرجوا يجاهدون في سبيل الله ، إنه ليس الدافع إلى الجهاد ولا الباعث عليه ، وكذلك التسرع بإهدار ده قبل التبين ، وقد يكون دم مسلم عزيز ، لا يجوز أن يراق ، والله - سبحانه - يذكر الذين آمنوا بجاهليتهم القريبة وما كان فيها من تسرع ورعونة ، وما كان فيها من طمع في الغنime ، ويمن عليهم أن طهر نفوسهم ورفع أهدافهم » .
ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن المؤمن لا يجوز له أن يقتل مؤمناً متعمداً بحال من الأحوال ؛ لأن دم المسلم حرام على المسلم وعلى المجتمع وعلى الدولة إلا في أحوال ثلاث :

- الردة بعد الإيمان بشرط الاستتابة .

- الزنا بعد الإحصان بشرط الإقرار أو الشهود .

- النفس بالنفس فمن قتل يُقتل .

٢ - في الحرب لا يجوز لمسلم أن يقتل رجلاً أعلن إسلامه ونطق بالشهادتين ؛ لأن ذلك وحده كاف لعصمة دمه ، ولأن القلوب والحقائق الكامنة فيها لا يطلع عليها إلا الله سبحانه .

٣ - حرمة دم المسلم أعظم عند الله من كل شيء حتى من الكعبة المشرفة لما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول : « ما أطيبك وأطيب ريحك ، ما أعظمك وأعظم حرمتك ، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك : ماله ودمه ، وأن نظن به إلا خيراً » .

معاني الكلمات :

القاعدون : الذين لا يجاهدون . أولى الضرر : أصحاب العذر المانع من الجهاد . ظلمى أنفسهم : بالإقامة في دار الشرك . مأواهم : مقرهم . مراغماً : مهاجراً ومتحولاً ينتقل إليه . ضربتم : سرتهم وسافرتهم . جُنّاح : إثم . يفتنكم : الابتلاء والاختبار . عدواً مبيناً : عدواً ظاهر العداوة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - بيان قيمة الجهاد بالأموال والأنفس في ميزان الله واعتبارات هذا الدين .
- ٢ - بيان مفهوم الجهاد بمعناه الواسع .
- ٣ - بيان مفهوم الهجرة بين الماضي والحاضر، وفضل المجاهدين على القاعدين
- ٤ - بيان فضل الهجرة في سبيل الله



وأثرها في الدنيا والآخرة .

المحتوى التربوي :

الموضوع الأساسى لهذه الآيات هو الهجرة إلى دار السلام ؛ والحث على انضمام المسلمين المتخلفين في دار الكفر والحرب إلى الصف المسلم في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، وترك الراحة النسبية والمصلحة كذلك في البقاء بمكة ، إلى جوار الأهل والمال !

وتقرر هذه الآيات قاعدة عامة ؛ يقيم الله بها المؤمنين في كل زمان ومكان - قاعدة عدم الاستواء بين القاعدين من المؤمنين عن الجهاد بالأموال والأنفس - غير أولى الضرر الذين يقعدهم العجز عن الجهاد بالنفس ، أو يقعدهم الفقر والعجز عن الجهاد بالنفس والمال - عدم الاستواء بين هؤلاء القاعدين ، والآخرين الذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم ، وبين طبيعة عدم الاستواء بين الفريقين ، ففي الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة مائة درجة ، أعدها الله للمجاهدين في سبيله . وما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » .

يقول القاسمى : « وهاهنا فوائد :

الأولى : دلت الآية على أن الجهاد ليس بغرض عين ، إذ لزم أن فرضاً من فروض الأعيان لم يكن للقاعد فضل ، ولكن تفاوت الفضل بينه وبين المجاهد ، وقال : قال تعالى : ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ .

الثانية : دلت - أيضا - على أن الجهاد أفضل من القرب التي يفعلها القاعد ؛ لأنه فضله على القاعد مطلقا ..

الثالثة : قال السيوطي في (الإكليل) : في الآية تفضيل للمجاهدين على غيرهم ، وأن المعذورين في درجة المجاهدين ، واستدل بقوله : ﴿ بِأَمْوَالِهِمْ ﴾ على تفضيل المجاهد بهال نفسه على المجاهد بهال يعطاه من الديون أو نحوه .

الرابعة : قال الرازي : القائل أن يقول : إنه تعالى قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْكَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ (النوبة : ١١١) ، فقدم ذكر النفس على المال ، وفي الآية التي نحن فيها وهي قوله : ﴿ الْجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ قدم ذكر المال على النفس فما السبب ؟ وجوابه : أن النفس أشرف من المال ، فالمشتري قدم ذكر النفس تنبيها على أن الرغبة فيها أشد ، والبائع آخر ذكرها تنبيها على أن المضايقة فيها أشد ، فلا يرضى ببذله إلا في آخر المراتب ... » .

ويقول صاحب الظلال : ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ فللايمان وزنه وقيمته على كل حال ؛ مع تفاضل أهله في الدرجات وفق تفاضلهم في النهوض بتكاليف الإيمان ؛ فيما يتعلق بالجهاد بالأموال والنفس ، وهذا الاستدراك هو الذي نفهم منه أن هؤلاء القاعدين ليسوا هم المنافقين المبطلين ! إنما هم طائفة أخرى صالحة في الصف المسلم ومخلصة ؛ ولكنها قصرت في هذا الجانب ؛ والقرآن يستحثها لتلافي التقصير ؛ والخير مرجو فيها ، والأمل قائم في أن تستجيب .

بعد ذلك يتحدث عن فريق من القاعدين ؛ أولئك الذين يظنون قاعدين في دار الكفر لا يهاجرون ؛ تمسك بهم أموالهم ومصالحهم ، أو يمسك بهم ضعفهم عن مواجهة متاعب الهجرة وآلام الطريق - وهم قادرون لو أرادوا واعتزموا التضحية - أن يهاجروا حتى يحين أجلهم ؛ وتأتي الملائكة لتتوفاهم . يتحدث عنهم فيصورهم صورة رزية منكرة ؛ تستنهض كل قاعد منهم للفرار بدينه وعقيدته ، وبمصيره عند ربه ؛ من الموقف الذي يرسمه لهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ .

ويقول صاحب المنار : « وهاك ما عندى في الآية عن درس الأستاذ الإمام : ذكر تعالى في الآية السابقة فضل المجاهدين في سبيل الله على القاعدين لغير عجز ، فعلم أن العاجز معذور ، ومعنى سبيل الله الطريق الذي يرضيه ويقيم دينه .

ثم ذكر حال قوم أخذوا إلى السكون وقعدوا عن نصر الدين ، بل وعن إقامته حيث هو وعذروا أنفسهم بأنهم في أرض الكفر حيث اضطهدهم الكافرون ومنعوه من إقامة الحق وهم عاجزون عن مقاومتهم . ولكنهم في الحقيقة غير معذورين ؛ لأنه كان يجب عليهم الهجرة إلى المؤمنين الذين يعتزون بهم ، فهم بحبهم لبلادهم ، وإخلاصهم إلى أرضهم ، وسكونهم إلى أهلهم ومعارفهم ، ضعفاء في الحق لا مستضعفون ، وهم بضعفهم هذا قد حرموا أنفسهم بترك الهجرة من خير الدنيا بعزة المؤمنين ، ومن خير الآخرة بإقامة الحق ، فظلمهم عبارة عن تركهم العمل بالحق خوفاً من الأذى وفقد الكرامة عند المبطلين » .

بعد ذلك يمضي السياق ويستثنى من لا حيلة لهم في البقاء في دار الكفر ؛ والتعرض للفتنة في الدين ؛ والحرمان من الحياة في دار الإسلام من الشيوخ الضعاف ، والنساء والأطفال ؛ فيعلقهم

بالرجاء في عفو الله ومغفرته ورحمته بسبب عذرهم البين وعجزهم عن الفرار بدينهم ، وتعالج الآيات مخاوف النفس المتنوعة ؛ وهى تواجه مخاطر الهجرة ، فى وضوح وصراحة ؛ فلا يكتم عنها شيئاً من المخاوف ؛ بما فى ذلك خطر الموت ، ولكنه يسكب فيها الطمأنينة بحقائق أخرى وبضمانه الله سبحانه وتعالى فهو يحدد أولاً بأن الهجرة فى سبيل الله .

وهذه هى الهجرة المعتمدة فى الإسلام . فليست هجرة للشراء ، أو هجرة للنجاة من المتاعب ، أو هجرة للذائد والشهوات ، أو هجرة لأى عرض من أعراض الحياة ، ومن يهاجر هذه الهجرة - فى سبيل الله - يجد فى الأرض فسحة ومنطقاً فلا تضيق به الأرض ، ولا يعدم الحيلة والوسيلة للنجاة وللرزق والحياة ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ .

ويقول صاحب الظلال : « هذا التصور الكاذب لحقيقة أسباب الرزق وأسباب الحياة والنجاة - الذى يخيل للنفس أن وسائل الحياة والرزق ، مرهونة بأرض ، ومقيدة بظروف ومرتبطة بملايسات لو فارقتها لم تجد للحياة سبيلاً - ؛ هذا التصور هو الذى يجعل النفوس تقبل الذل والضميم ، وتسكت على الفتنة فى الدين ؛ ثم تتعرض لذلك المصير البائس . مصير الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم . والله يقرر الحقيقة الموعودة لمن يهاجر فى سبيل الله ، إنه سيجد فى أرض الله منطلقاً وسيجد فيها سعة ، وسيجد الله فى كل مكان يذهب إليه ، يحياه ويرزقه وينجيّه » .

ولكن الأجل قد يوافى فى أثناء الرحلة والهجرة فى سبيل الله ، فمن مات فقد وقع أجره على الله ؛ أجره كله . أجر الهجرة إلى الله ورسوله ، والرحلة والوصول إلى الإسلام والحياة فيها . فماذا بعد هذا الضمان من ضمان ؟

بعد ذلك يستطرد إلى رخصة يبيحها الله للمهاجرين ، أو الضاربين فى الأرض للجهاد فى حالة خوفهم أن يأخذهم الذين كفروا أسارى . فيفتنهم عن دينهم - وهى رخصة القصر من الصلاة - وهو غير القصر المرخص للمسافر إطلاقاً سواء خاف فتنة الذين كفروا أو لم يخف فهذا قصر خاص .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن المجاهدين فى سبيل الله كل أنواع الجهاد ودرجاته - والدعوة والحركة جهاد - لهم عند الله منزلة أعلى ودرجة أكبر وأعظم من منزلة القاعدين .

٢ - أن القعود عن الجهاد فى سبيل الله تعالى ظلم للنفس يبلغ بصاحبه حد الكفر ، وبخاصة إذا قبل القاعد عن الجهاد أن يسكن فى دار الكفر ، ويعايش الكافرين ، ولم يهاجر إلى ديار المسلمين .

٣ - أن الله تعالى شرع لعباده التخفيف فى بعض العبادات عند وجود أسباب التخفيف من مشقة سفر أو حرب أو خوف ، وما ذلك إلا لأن هذا الدين يسر ولا حرج على العباد فى شئ من عباداته كلها .

٤ - الجهاد فى سبيل الله يتسع مدلوله ويتعمق لما هو أعم وأشمل من القتال فيشمل الحرب والإعداد لها ، والجهاد بالكلمة (خطبة ومحاضرة وبحثاً ودراسة ومحاوراة ومناظرة لشرح دعوة الإسلام وإبلاغ الدعوة والحركة بالإسلام بين الناس ... إلخ) .

معاني الكلمات :

حذرهم : التيقظ من العدو . تغفلون :
تسهون . قضيتهم : فرغتم وانتهيتهم . كتاباً
موقوتاً : فرضاً محدوداً بأوقات محددة لا
يجوز التقديم أو التأخير فيها . تمنوا :
تضعفوا . في ابتغاء القوم : في طلبهم
بالحرب . تأملون : تتوجعون لما يصيبكم .
ترجون : تأملون . خصيماً : مدافعاً عنهم .
الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - بيان أهمية الحذر من العدو وإعداد
العدة له دائماً .
- ٢ - أن نعرف كيفية صلاة الخوف .
- ٣ - بيان فرضية الصلاة وأهمية أدائها
في وقتها .

٤ - بيان حرمة الوهن في طلب العدو وقتاله وطلبه والصبر على ذلك .

المحتوى التربوي :

وبمناسبة الحديث عن صلاة الضارب في الأرض ، الخائف من فتنه الذين كفروا ، يحىء
حكم صلاة الخوف في أرض المعركة ؛ والسياق القرآني لا يحىء بهذا النص لمجرد بيان الحكم
الفقهى في صفة صلاة الخوف ، ولكنه يحشد هذا النص في حملة التربية والتوجيه والتعليم
والإعداد للصلى المسلم وللجماعة المسلمة .

ويقول صاحب الظلال : « وأول ما يلفت النظر هو الحرص على الصلاة في ساحة المعركة !
ولكن هذا طبيعي بل بدهي في الاعتبار الإيماني ، إن هذه الصلاة سلاح من أسلحة المعركة ، بل
إنها السلاح ، فلا بد من تنظيم استخدام هذا السلاح بما يتناسب مع طبيعة المعركة ، وجوها !

ولقد كان أولئك الرجال - الذين تربوا بالقرآن وفق المنهج الرباني - يلقون عدوهم بهذا
السلاح الذي يتفوقون فيه قبل أى سلاح . لقد كانوا متفوقين في إيمانهم بإله واحد يعرفونه حق
المعرفة ، ويشعرون أنه معهم في المعركة ، متفوقين كذلك في إيمانهم بهدف يقاتلون من أجله ؛
ويشعرون أنه أرفع الأهداف جميعاً . متفوقين أيضاً في تصورهم للكون والحياة ولغاية وجودهم



الإنسانى ، تفوقهم فى تنظيمهم الاجتماعى الناشئ من تفوق منهجهم الربانى وكانت الصلاة رمزاً لهذا كله ، وتذكيراً بهذا كله ، ومن ثم كانت سلاحاً فى المعركة بل كانت هى السلاح !

والأمر الثانى الذى يلفت النظر فى هذا النص هو هذه التعبئة الروحية الكاملة تجاه العدو ، وهذا الحذر الذى يوصى المؤمنين به تجاه عدوهم الذى يترصد بهم لحظة غفلة واحدة عن أسلحتهم وأمتعتهم - ليميل عليهم ميلة واحدة ! ومع هذا التحذير والتخويف ، يأتى الاطمئنان والتشيت ؛ إذ يخبرهم أنهم إنما يواجهون قوماً كتب الله عليهم الهوان ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ ، وهذا التقابل بين التحذير والتطمين ؛ وهذا التوازن بين استثارة حاسة الحذر وسكب فيض الثقة ؛ هو طابع هذا المنهج فى تربية النفس المؤمنة والصف المسلم فى مواجهة العدو الماكر العنيد اللثيم !

أما كيفية صلاة الخوف ؛ فتختلف فيها آراء الفقهاء ، ولكننا نكتفى بالصفة العامة ، دون دخول فى تفصيل الكيفيات المتنوعة .

وهى : إذا كنت فيهم فأقمتهم فى الصلاة ، فلتقم طائفة منهم معك الركعة الأولى ، على حين تقف طائفة أخرى بأسلحتها من ورائكم لحمايتكم . فإذا أتمت الطائفة الأولى الركعة الأولى رجعت فأخذت مكان الحراسة ، وجاءت الطائفة التى كانت فى الحراسة ولم تصل فلتصل معك ركعة كذلك . (وهنا يسلم الإمام إذ يكون قد أتم صلاته ركعتين) . عندئذ تجيء الطائفة الأولى فتقضى الركعة الثانية التى فاتتها مع الإمام ، وتسلم بينما تحرسها الطائفة الثانية ، ثم تجيء الثانية فتقضى الركعة الأولى التى فاتتها وتسلم بينما تحرسها الطائفة الأولى .

وبذلك تكون الطائفتان قد صلتا بإمامة الرسول ﷺ وكذلك مع خلفائه وأمرائه وأمراء المسلمين منهم فى كل معركة .

ثم يوجههم إلى الاتصال بالله فى كل حال ، وفى كل وضع ، إلى جانب الصلاة ، فهذه هى العدة الكبرى ؛ وهذا هو السلاح الذى لا يبلى .. فأما حين الاطمئنان ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ، أقيموها كاملة تامة بلا قصر ، قصر الخوف الذى تحدثنا عنه - فهى فريضة ذات وقت محدد لأدائها ، ومتى زالت أسباب الرخصة فى صفة من صفاتها عادت إلى صفتها المفروضة الدائمة .

من قوله تعالى ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ بأخذ الظاهرية رأيهم فى عدم قضاء الفائتة من الصلاة لأنها لا تجزء ولا تصح ؛ لأن الصلاة لا تصح إلا فى ميقاتها المعين ، فمتى فات الميقات فلا سبيل لإقامة الصلاة والجمهور على صحة قضاء الفوائت . وعلى تحسين التذكير فى الأداء ، والكراهية فى التأخير .

ويختتم هذه الآيات بالحث على المضي في الجهاد ؛ مع الألم والضنى والكلال ويكشف بعد ذلك عن الشقة البعيدة بين جبهتي الصراع ، إن المؤمنين يحتملون الألم والقرح في المعركة ولكنهم ليسوا وحدهم الذين يتحملونه .. إن أعداءهم كذلك يتألمون وينالهم القرح والأواء ، ولكن شتان بين هؤلاء وهؤلاء ، إن المؤمنين يتوجهون إلى الله بجهادهم ، ويرتقبون عنده الثواب .. فأما الكفار فهم ضائعون مضيعون لا يتجهون لله ، ولا يرتقبون شيئاً في الحياة ولا بعد الحياة .

ويقول صاحب الظلال : « فإذا أصر الكفار على المعركة ، فما أجدر المؤمنين أن يكونوا هم أشد إصراراً ، وإذا احتمل الكفار آلامها ، فما أجدر المؤمنين بالصبر على ما ينالهم من آلام ، وما أجدرهم كذلك ألا يكفوا عن ابتغاء القوم ومتابعتهم بالقتال ، وتعقب آثارهم ، حتى لا تبقى لهم قوة ، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

وسبيل العصبة المؤمنة حينئذ أن تحتمل ولا تنهار . وأن تعلم أنها إن كانت تألم ، فإن عدوها كذلك يألم . والألم أنواع . والقرح ألوان .. ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ .. وهذا هو العزاء العميق ، وهذا هو مفترق الطريق .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن المسلمين مطالبون دائماً بأن يكونوا متنبهين وعلى حذر من كل عدو ، رمزاً لوجوب الأخذ بالأسباب ، ووجوب الإعداد للأعداء .

٢ - مهما تحمل الدعاة إلى الله من آلام ومحن من أجل هذا الدين ، فهم بهذا التحمل والصبر في معية الله تعالى وحفظه ، حتى لو مات بعضهم من التعذيب والتنكيل ، فقد حفظه الله من الفتنة والمعصية وممالة الظالمين ، وحفظ لهم عنده أجزل الأجر وأعظم الثواب .

٣ - استحباب ذكر الله تعالى بعد الصلاة وعلى كل حال من قيام وقعود واضطجاع .

٤ - حرمة الوهن والضعف إزاء حرب العدو وطلبه وجهاده والاستعانة على قتاله بذكر الله ورجائه .

٥ - مشروعية صلاة القصر وهي رخصة أكدها رسول الله ﷺ بقوله وعمله فأصبحت سنة مؤكدة لا ينبغي تركها .

٦ - التأكيد على صلاة الجماعة بحيث لا تترك حتى في ساعة الخوف والقتال .

٧ - تقرير فرضية الصلاة ووجوب أدائها في أوقاتها الموقوتة لها .

معاني الكلمات :

يختانون أنفسهم : يخونونها بارتكاب المعاصي .
 خواناً أثيماً : مُفرطاً في الخيانة .

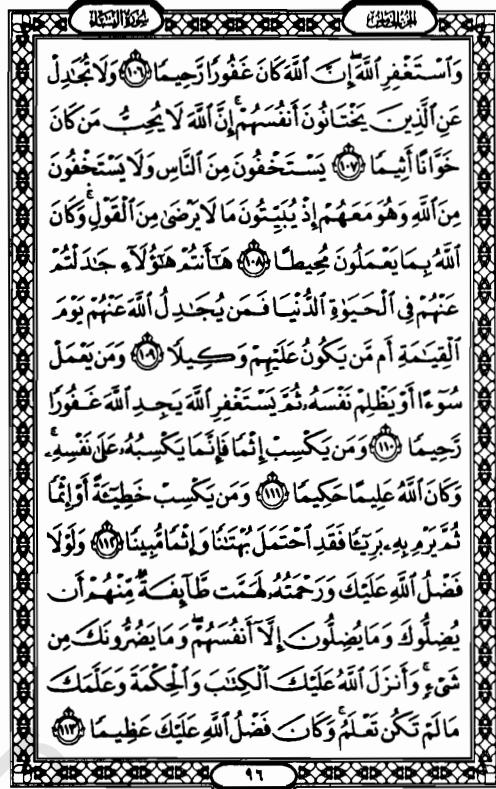
يبيتون : يدبرون في الخفاء . جادلتم : دافعتم .
 وكيلاً : حافظاً ومحامياً من بأس الله وعذابه .
 يكسب إثماً : يرتكب ذنباً متعمداً .
 يرم به بريئاً : يتهم إنساناً بريئاً .

الكتاب والحكمة : القرآن والسنة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان الحكمة من نزول القرآن الكريم .

٢ - بيان فضل الله ومنتها على رسوله وعلى عباده .



٣ - أن نعرف القواعد العامة للحكم بين الناس ونلتزم فيها بأمر الله ورسوله .

٤ - بيان أهمية التوبة والاستغفار من الذنوب ، فلا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار .

المحتوى التربوي :

روى أن هذه الآيات نزلت في طعمة بن أبيرق وإخوته ، وكان قد سرق درعاً من دار جاره . يقال له قتادة ، وودعها عند يهودى يقال له : زيد بن السمين ، ولما اتهم طعمة وخاف هو وإخوته المعرة رموا بها اليهودى ، وقالوا هو السارق ، وأتوا رسول الله ﷺ وحلفوا على براءة أخيهم فصدهم رسول الله ﷺ وهم يقطع يد اليهودى حداً لشهادة بنى أبيرق عليه وإذا بالآيات تنزل براءة اليهودى وإدانة طعمة ، ولما افتضح طعمة ، وكان منافقاً أعلن عن رده وهرب إلى مكة ونقب جدار منزل ليسرق فسقط عليه الجدار ، فمات تحت كافرأ .

يقول صاحب الظلال : « وأول ما يبدو في هذه الآيات تذكير رسول الله ﷺ بتنزيل الكتاب إليه بالحق ليحكم بين الناس بما أراه الله ، واتباع هذا التذكير بالنهاى عن أن يكون خصيماً ومدافعاً عن الخائنين ، يدافع عنهم ويجادل ، وتوجيهه لاستغفار الله سبحانه عن هذه المجادلة ، ثم تكرار

هذا النهى ؛ ووصف هؤلاء الخائنين ، الذين جادل عنهم ﷺ بأنهم يختانون أنفسهم ، وتعليل ذلك بأن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً ؛ وهذه عقوبة أكبر من كل عقوبة ، فالذين لا يحبهم الله لا يجوز أن يجادل عنهم أحد ، ولا أن يحامى عنهم أحد ، وقد كرههم الله للإثم والخيانة! ويعقب الوصف بالإثم والخيانة تصوير منفر لسلوك هؤلاء الخونة الآثمين ، وهى صورة احتقار وسخرية ، زرية بما فيها من ضعف والتواء ، وهم يبيتون الكيد والمؤامرة والخيانة ؛ ويستخفون بها عن الناس . والناس لا يملكون لهم نفعاً ولا ضرراً . بينما الذى يملك النفع والضرر معهم وهم يبيتون ما يبيتون ؛ مطلع عليهم وهم يخفون نياتهم ويستخفون ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ .

وبعد هذه الحملة الغاضبة على الخونة الآثمين ، والعتاب للمنافحين عنهم والمجادلين ، يجرى تقرير القواعد العامة لهذه الفعلة وآثارها . وللحساب عليها والجزاء ، ولقاعدة الجزاء العامة إنها آيات ثلاث تقرر هذه المبادئ الكلية التى يعامل بها الله عباده ؛ والتى يملك العباد أن يعاملوا بعضهم بعضاً بها ، ويعاملوا الله على أساسها فلا يصيبهم سوء .

الآية الأولى : تفتح باب التوبة على مصراعيه وتطمع كل مذنّب تائب فى العفو والقبول ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ فالله الغفور يستقبل المستغفرين فى كل حين ؛ ويغفر لهم ويرحمهم متى جاؤوه تائبين ، هكذا بلا قيد ولا شرط ولا حجاب ولا تبواب .

الآية الثانية : تقرر فردية التبعة ، وهى قاعدة الجزاء فى الإسلام ، والتى تثير فى كل قلب شعور الخوف وشعور الطمأنينة ؛ الخوف من عمله وكسبه . والطمأنينة من ألا يحمل تبعة غيره ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ .

الآية الثالثة : تقرر تبعة من يكسب الخطيئة ثم يرمى بها البرىء .. فإنه يحتمل البهتان فى رمية البرىء ، والإثم فى ارتكابه الذنب الذى رمى به البرىء ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ .

ويقول صاحب المنار : « ولعل المراد بوجودان الله غفوراً رحيماً هو أن التائب المستغفر يجد أثر المغفرة فى نفسه بكرهه الذنب وذهاب داعيته ، ويجد أثر الرحمة بالرغبة فى الأعمال الصالحة التى تطهر النفس وتزيل ذلك الدرن منها . فيكون السوء أو الظلم الذى تاب منه العبد مصداقاً لقول ابن عطاء الله السكندرى « رب معصية أورثت ذلاً وانكساراً خيراً من طاعة أورثت عزاً واستكباراً » والمراد الذل والانكسار لله عز وجل الذى يورث صاحبه العزة والرفعة مع غيره .

وأخيراً : يمن الله على رسوله ﷺ أن عصمه من الانسياق وراء المتأمرين المبيتين ، فأطلعه على مؤامراتهم التى يستخفون بها من الناس ، ولا يستخفون بها من الله ، وهو معهم إذ يبيتون ما لا

يرضى من القول . ثم يمتن عليه المنة الكبرى في إنزال الكتاب والحكمة وتعليمه ما لم يكن يعلم، وهى المنة على البشرية كلها ، ممثلة ابتداء في شخصه ﷺ وهو أكرمها على الله وأقربها لله . ويطمئنه في الوقت ذاته أنهم لا يضرونه شيئاً بفضل من الله ورحمة .

وبمناسبة المنة في حفظه من هذه المؤامرة الأخيرة ؛ وصيانة أحكامه من أن تتعرض لظلم برىء وتبرئة مذهب ، وكشف الحقيقة له وتعريفه بالمؤامرة تحيىء المنة الكبرى .. منة الرسالة : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ .

ويقول صاحب الظلال : « وهى منة الله على الإنسان في هذه الأرض ، المنة التى ولد الإنسان معها ميلاداً جديداً ، ونشأ بها كما نشأ أول مرة بنفخة الروح الأولى ، المنة التى التقطت البشرية من سفح الجاهلية ؛ لترقى بها فى الطريق الصاعد ، إلى القمة السامقة عن طريق المنهج الربانى الفريد العجيب » .

يقول الإمام محمد عبده : فى قوله تعالى : ﴿ وَكَارَبَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ : « إذ اختصك بهذه النعم الكثيرة ، وأرسلك للناس كافة ، وجعلك خاتم النبيين ، فيجب أن تكون أعظم الناس شكراً له ، ويجب على أمتك مثل ذلك ليكونوا بهذا الفضل خير أمة أخرجت للناس ، وقدوة لهم فى جميع الخيرات » .
ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - اهدف من إنزال القرآن الكريم هو الحكم به بين الناس بالحق الذى علمه الله لرسوله ﷺ فى كتابه المبين .

٢ - الله تعالى لا يحب من كان خائناً يرتكب الآثام ويخاف الناس ولا يخاف الله .

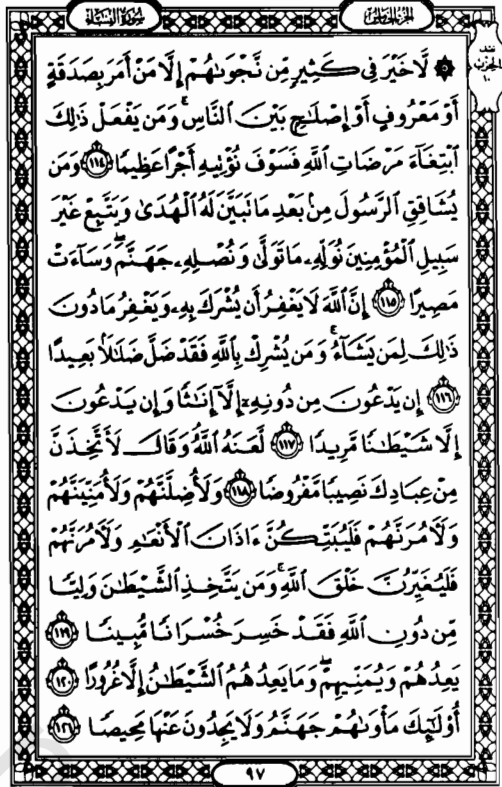
٣ - المسلم مطالب بالآلا يدافع أو يخاصم أو يجادل عن أحد من الخونة ، وإنما عليه أن يتبين أنه أهل لأن يدافع عنه .

٤ - القاعدة العامة التى تفضل الله بها على عباده هى : أن وسعهم برحمته وشملهم بمغفرته إذا هم تابوا واستغفروا الله ، وهذا من أقوى الأدلة على حب الله لعباده التائبين المستغفرين .

٥ - كل عمل يقوم به الإنسان لا يرضى الله تعالى ؛ لأنه مخالف لما أمر ولما نهى لتضمنه ظلم نفسه ، فما عليه إلا أن يتوب ويستغفر ، ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر ، عندئذ يجد الله غفوراً رحيماً .

معاني الكلمات :

- نجاوهم : ما يتكلم به الناس سراً .
 يشاقق الرسول : يخالفه .
 نُولِه ما تَوَلَّى : نُحِلَّ بينه وبين ما اختاره لنفسه .
 نُصِلِه جهنم : ندخله إياها .
 إناثاً : أصناماً يزينونها كالنساء .
 شيطاناً مريداً : متمرداً متجرداً من الخير .
 مفروضاً : واجباً لى ، ومقطوعاً لى به .
 فليستكن : فليقطعنَّ أو فليشُقنَّ .
 خلق الله : فطرة الله وهى دين الإسلام .
 غروراً : خداعاً وباطلاً .
 محيصاً : مهرباً ومفراً .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن تعرف الفرق بين التناجى المنهى عنه ، والمأمور به .
- ٢ - أن تعرف عاقبة من يشاقق الله ورسوله .
- ٣ - أن نحذر عدونا - القديم - الشيطان ، ونحذر مكائده لنا .
- ٤ - أن نعلم أن رحمة الله تتسع لكل ذنوب البشر ، والله يغفر كل الذنوب إلا الشرك .

المحتوى التربوى :

تعرض الآيات حلقة جديدة من حلقات المنهج التربوى الحكيم ، فى إعداد الجماعة المسلمة لتكون الأمة التى تقود البشرية ؛ بتفوقها التربوى والتنظيمى ؛ وليعالج فيها مواضع الضعف البشرى ورواسب المجتمع الجاهلى ، فىنهاى عن النجوى ؛ وهى أن تجتمع طائفة بعيداً عن الجماعة المسلمة وعن القيادة المسلمة لتبيت أمراً .

ويستثنى النص القرآنى نوعاً من النجوى وذلك أن يجتمع الرجل الخير بأهل الخير . فيقول له : هلم تصدق على فلان فقد علمت حاجته فى خفية عن الأعين . أو هلم إلى معروف معين

نفعله أو نحض عليه ، أو هلم نصلح بين فلان وفلان فقد علمت أن بينها نزاعاً .. فهذا ليس نجوى ولا تأمراً .. ومن ثم ساء « أمراً » ؛ على شرط أن يكون الباعث هو ابتغاء مرضاة الله .

فلا يكون لهوى في الصدقة على فلان ، أو الإصلاح بين فلان وفلان ، ولا يكون ليشتهر الرجل بأنه - والله رجل طيب - ! يحض على الصدقة والمعروف ، ويسعى في الإصلاح بين الناس ! ولا تكون هناك شائبة تعكر صفاء الاتجاه إلى الله ، بهذا الخير .

فهذا هو مفرق الطريق بين العمل يعمل به المرء فيرضى الله عنه ويشبهه به . والعمل نفسه يعمل به المرء فيغضب الله عليه ، ويكتبه في سجل السيئات !

ثم ينتقل السياق ليتحدث عن شاق الرسول ﷺ ، ويتخذ له منهجاً للحياة غير منهجه ﷺ ، ويختار له طريقاً غير طريقه ﷺ ؛ وينكر منهج الإسلام جملة ، أو يؤمن ببعض ويكفر ببعض فيأخذ بشق من الإسلام ويطرح شقاً !

ويقول صاحب الظلال : « وقد اقتضت رحمة الله بالناس ، ألا يحق عليهم القول ، ولا يصلوا جهنم وساءت مصيراً ، إلا بعد أن يُرسل إليهم رسولاً ، وبعد أن يبين لهم ، وبعد أن يتبينوا الهدى ، ثم يختاروا الضلالة ، وهي رحمة الله الواسعة الحانية على هذا المخلوق الضعيف . فإذا تبين له الهدى ، ثم شاق الرسول ﷺ ولم يتبعه ويطعه ، فعندئذ يكتب الله عليه الضلال ، ويوليه الوجهة التي توليها ، ويلحقه بالكفار والمشركين الذين توجه إليهم ، ويُحق عليه العذاب ، ويعمل هذا المصير البائس السيئ ، بأن مغفرة الله - سبحانه - تتناول كل شيء .. إلا أن يشرك به .. فهذه لا مغفرة لمن مات عليها .

فلا غفران لذنب الشرك - متى مات صاحبه عليه - بينما باب المغفرة مفتوح لكل ذنب سواه ، عندما يشاء الله ، والسبب في تعظيم جريمة الشرك ، وخروجها من دائرة المغفرة ، أن من يُشرك بالله يخرج عن حدود الخير والصالح تماماً ؛ وتفسد كل فطرته بحيث لا تصلح أبداً .

وينتقل السياق ليصف بعض أوهام الجاهلية العربية في شركها . وأساطيرها حول اتخاذ الله بنات - هن الملائكة - وحول عبادتهم للشيطان - وقد عبدوه كما عبدوا الملائكة وتمثيلها الأصنام كما يصف بعض شعائهم في تقطيع أو تشقيق آذان الأنعام المندورة للآلهة ! وفي تغييرهم خلق الله ، والشرك بالله ، وهو مخالف للفطرة التي فطر الناس عليها .

وهذه الأمور الشركية كلها من مكائد الشيطان ، وشعور الإنسان بأن الشيطان - عدوه القديم - هو الذي يأمر بهذا الشرك وتوابعه من الشعائر الوثنية ، يثير في نفسه - على الأقل - الحذر من الفخ الذي نصبه العدو ، وقد جعل الإسلام المعركة الرئيسية بين الإنسان والشيطان ، ووجه قوى المؤمن كلها لكفاح الشيطان والشر الذي ينشئ في الأرض ؛ والوقوف تحت راية الله وحزبه في مواجهة الشيطان وحزبه .

ويقول صاحب الظلال : « والمعركة مع الشيطان : هى معركة دائمة لا تضع أوزارها ؛ لأن الشيطان لا يمل هذه الحرب التى أعلنها منذ لعنه وطرده . والمؤمن لا يغفل عنها ، ولا ينسحب منها . وهو يعلم أنه إما أن يكون ولياً لله ، وإما أن يكون ولياً للشيطان ؛ وليس هناك وسط ... » .

ويقول الشيخ محمد عبده عن إضلال الشيطان للناس : « إن إضلاله لمن يضلهم هو عبارة عن صرفهم عن العقائد الصحيحة بمعنى أن يشغلهم عن الدلائل الموصلة إلى الحق والهدى ، وأما التمنية فهى فى الأعمال بأن يزين لهم الاستعجال بالذات الحاضرة والتسويق بالتوبة وبالعمل الصالح ، بل هذا اسم جامع لأنواع وحى الشيطان كلها وتغريه للناس بعفو الله ورحمته ومغفرته » .

وحين يرسم المشهد - كما يقول صاحب الظلال : « على هذا النحو ، والعدو القديم - الشيطان - يفتل الحبال ، ويضع الفخ ، ويستدرج الفريسة ، لا تبقى إلا الجبلات الموكوسة المطموسة هى التى تظل سادرة لا تستيقظ ، ولا تتلفت ولا تحاول أن تعرف إلى أى طريق تساق ، وإلى أية هوة تُستهوى ! على حين تكون هذه هى حقيقة المعركة ، وحقيقة الموقف ، يحىء التعقيب ببيان العاقبة فى نهاية المطاف : عاقبة من يستهويهم الشيطان ، ويصدق عليهم ظنه ، وينفذ فيهم ما صرح به من نيته الشريرة .. فتكون عاقبتهم جهنم ولا محيص عنها لأولياء الشيطان » ، ويقول صاحب المنار ، « أُولَئِكَ مَأْوُهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا » : « أى أولئك الذين يعبت بهم الشيطان بوسوسته أو بإغواء دعاء الباطل والشر من أوليائه ، مأواهم جهنم لا يجدون معدلاً عنها يَفْرُونَ إليه ؛ لأنهم منجذبون إليها بطبيعتهم يتهافون فيها أنفسهم ، كما يتهافت الفراش فى النار » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن أكثر ما يتناجى به الناس وما يخوضون فيه من أحاديث لا نفع فيه ، بل قد يحمل الضرر والشر لهم ولغيرهم باستثناء ثلاثة أمور تكون النجوى فيها من الخير وهى : الصدقة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والإصلاح بين الناس .

٢ - أن مشاققة - مخالفة - الرسول ﷺ ومنهجه وهديه كفر بواح ، ومرتكبه له عند الله تعالى أخزى الجزاء ، وأسوأ المصير .

٣ - أن الصدقة من خير ما يتناجى به الناس أو يتواصون بفعله ، علاوة على أنها تطفى غضب الرب .

٤ - أن رحمة الله بعباده تتسع لكل الأخطاء بل الجرائم التى هى دون الشرك بشرط التوبة والندم ، واستغفار الله تعالى . أما الشرك به سبحانه وتعالى فذنب لا يغتفر ، وجريمة ليس كمثلهما جريمة ، والله تعالى لا يغفر أن يشرك به .

٥ - أن نحذر عدونا - القديم والأزلى - إبليس عليه لعنة الله ، ونفطن لمكائده التى يحيكها لنا ليلاً ونهاراً .

معاني الكلمات :

قيلاً : قولاً . بأمانيتكم : حب الأمانى والأهواء . ولياً : حافظاً . نقيراً : قدر نقرة صغيرة في ظهر النواة . محسن : موحد ، ومطيع لأوامر الله . حنيفاً : مائلاً عن الباطل . خليلاً : صفياء ، خالص المحبة . محيطاً : عالماً بكل شيء ، وعلمه نافذ .

أن تنكحوهن : أن تتزوجوهن .

بالقسط : بالعدل ، في الميراث والأموال .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان حقيقة الدين . وكونه ليس بالأمانى . وشرط قبول الإيثار .

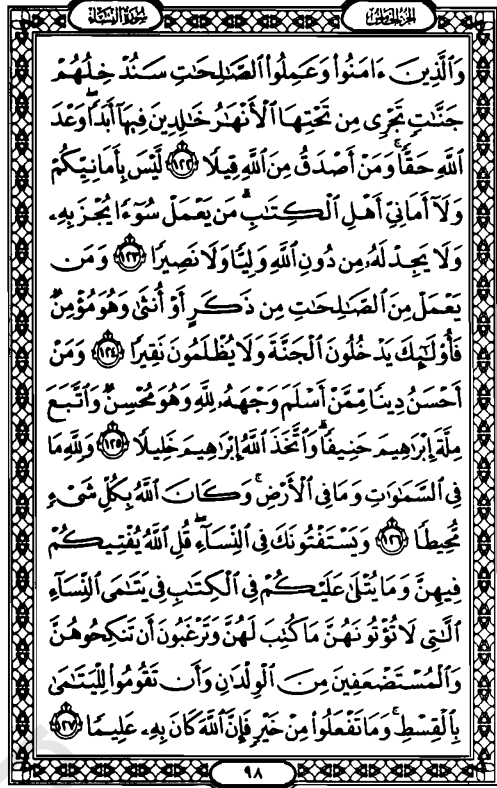
٢ - أن نعرف القاعدة الحاكمة في الجزاء ومحاسبة البشر أمام الله عز وجل .

٣ - أن نعرف الحكمة من الفتوى في أمور الدين ، وما يترتب عليها .

المحتوى التربوي :

بعد أن بين الله عاقبة من يستهويهم الشيطان ، ويصدق عليهم ظنه ، يأتي بيان عاقبة من يفلتون من حبالته ، لأنهم آمنوا بالله حقاً ، والمؤمنون بالله حقاً في نجاة من هذا الشيطان لأنه - لعنة الله عليه - وهو يستأذن في إغواء الضالين ، لم يؤذن له في المساس بعباد الله المخلصين ، فهو إزاءهم ضعيف ضعيف ، كلما اشتدت قبضتهم على حبل الله المتين ، والعاقبة هي جنات الخلد لا خروج منها لأولياء الله .. وعد الله : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ . والصدق المطلق في قول الله هنا ؛ يُقابل الغرور الخادع ، والأمانى الكاذبة في قول الشيطان هناك ! وشتان بين من يثق بوعد الله ومن يثق بتغريير الشيطان !

ثم يعقب السياق بقاعدة الإسلام الكبرى في العمل والجزاء ، إن ميزان الثواب والعقاب ليس موكلاً إلى الأمانى . إنه يرجع إلى أصل ثابت ، وسنة لا تتخلف ، وقانون لا يجابى قانون تستوى أمامه الأمم - فليس أحد يمت إلى الله سبحانه بنسب ولا صهر - وليس أحد تحرق له



القاعدة ، وتخالف من أجله السنة ، ويعطل لحسابه القانون ، إن صاحب السوء مجزى بالسوء ؛ وصاحب الحسنة مجزى بالحسنة ولا محاباة في هذا ولا ممارسة .

ويقول صاحب الظلال : « لقد كان اليهود والنصارى يقولون : « نحن أبناء الله وأحباؤه » .. وكانوا يقولون : « لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً » ، وكان اليهود لا يزالون يقولون : إنهم شعب الله المختار ! ولعل بعض المسلمين كانت تراود نفوسهم كذلك فكرة أنهم خير أمة أخرجت للناس . وأن الله متجاوز عما يقع منهم .. بما أنهم المسلمون .

فجاء هذا النص يرد هؤلاء وهؤلاء إلى العمل وحده ، ويرد الناس كلهم إلى ميزان واحد ، هو إسلام الوجه لله - مع الإحسان - واتباع ملة إبراهيم وهي الإسلام .

إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً ، فأحسن الدين هو هذا الإسلام ، وأحسن العمل هو الإحسان ، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وقد كتب الله الإحسان على كل شيء حتى في إراحة الذبيحة عند ذبحها ، وحد الشفرة ، حتى لا تعذب وهي تذبح !

وفي الآيات التسوية بين شقى النفس الواحدة ، في موقفها من العمل والجزاء ؛ كما أن فيه شرط الإيمان لقبول العمل ، وهو الإيمان بالله .

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ ، وهو نص صريح على وحدة القاعدة في معاملة شقى النفس الواحدة - من ذكر أو أنثى - كما هو نص صريح في اشتراط الإيمان لقبول العمل ، وأنه لا قيمة عند الله لعمل لا يصدر عن الإيمان ولا يصاحبه الإيمان . وذلك طبعى ومنطقى ، لأن الإيمان بالله هو الذى يجعل العمل الصالح يصدر عن تصور معين وقصد معلوم ؛ كما يجعله حركة طبيعية مطردة ، لا استجابة لهوى شخصى ، ولا فلتة عابرة لا تقوم على قاعدة .

ويستكمل النص القرآنى علاج روااسب المجتمع الجاهلى ، فيما يختص بالمرأة والأسرة ؛ وفيما يختص بمعاملة الضعاف في المجتمع كاليتامى والأطفال ؛ وهذه الآيات تعالج بعض هذه الشؤون ، وتربطها بنظام الكون كله ، مما يشعر معه المخاطب بهذه الآيات ، أن أمر النساء والبيوت والأسرة والضعاف في المجتمع ، هو أمر خطير كبير وهو في حقيقته أمر خطير كبير .

يقول صاحب الظلال : « لقد أثارت الآيات التى نزلت في أوائل السورة عن النساء أسئلة واستفتاءات في بعض شأنهن ، وظاهرة سؤال المسلمين واستفتائهم في بعض الأحكام ظاهرة لها دلالتها في المجتمع المسلم الناشئ ؛ وفي رغبة المسلمين في معرفة أحكام دينهم في شؤون حياتهم ، فقد كانت الهزة التى أحدثتها النقلة من الجاهلية إلى الإسلام في نفوسهم هزة عميقة حيث أصبحوا يشكون ، ويشفقون من كل أمر كانوا يأتونه في الجاهلية مخافة أن يكون الإسلام قد نسخه أو عدله ويتطلبون أن يعرفوا حكم الإسلام في كل ما يعرض لهم في حياتهم اليومية من

الشؤون ، لقد كانت بالقوم حاجة إلى معرفة أحكام دينهم ؛ لأنها هي التى تكوّن نظام حياتهم الجديدة . وكانت بهم حرارة لهذه المعرفة ، لأن الغرض منها هو إيجاد التطابق بين واقع حياتهم وأحكام دينهم .

وكان بهم انخلاع من الجاهلية ، وإشفاق من كل ما كان فيها من تقاليد وعادات وأوضاع وأحكام . مع شدة إحساسهم بقيمة هذا التغيير الكامل الذى أنشأه الإسلام فى حياتهم ، - أو بتعبير أدق بقيمة - هذا الميلاد الجديد الذى ولدوه على يدى الإسلام . وهنا نجد جزاء تطلعهم لله ، وجزاء حرارتهم ، وصدق عزيمتهم على الاتباع ، نجد جزاء هذا كله عناية من الله ورعاية ، بأنه - سبحانه بذاته العلية - يتولى إفتاءهم فيما يستفتون فيه .

فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۖ ﴾ ، يقول صاحب المنار : « أى وما تفعلوه من الخير لليتامى بترجيح منفعتهم ، والزيادة فى قسطهم ، فهو مما لا يعزب عن علمه تعالى ولا ينسى الإنابة عليه ، كسائر أفعال الخير ، وهذا ترغيب فى الإحسان إلى اليتامى وتكميل لبيان مراتب معاملتهم وهى ثلاث : أولاها هضم شىء من حقوقهم وهى المحرمة السفلى . والثانية : القيام لهم بالقسط والعدل التام بآلا يظلموا من حقهم شيئاً وهى الواجبة الوسطى . والثالثة : الزيادة فى رزقهم وإكرامهم بما ليس لهم من مال ، وما لا يجب لهم من عمل ، وهى المندوبة الفضلى .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ - أن الدين والتدين ليس بالتمنى ، كما أنه ليس بالادعاء الظاهرى ، ولكنه ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، والعبرة فيه بالطاعة لله ولرسوله والاتباع لما فى شريعته .

٢ - أن كمال الإيمان لا يحصل إلا مع تفويض الأمر كله لله فى جميع الأمور ، والاستسلام له فى كل شىء .

٣ - أن القاعدة العامة فى الجزاء هى : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ۖ وَالْقَاعِدَةُ الأُخْرَى التى تكمل العدل والإنصاف هى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۖ ﴾ .

٤ - أن كل شىء فى السموات والأرض ، وفى كل شىء من خلق الله هو على وجه الحقيقة ملك لله تعالى ، وتصرفه فيه سبحانه لا معقب عليه ولا راد له .

٥ - أن الأصل فى الالتزام بشريعة الإسلام أن يعمل كل مسلم ما وسعه من أجل أن يصل الحق إلى صاحبه ، مهما كان صاحبه ضعيفاً لصغره أو يثمه ولدًا كان أو بنتاً .

معانى الكلمات :

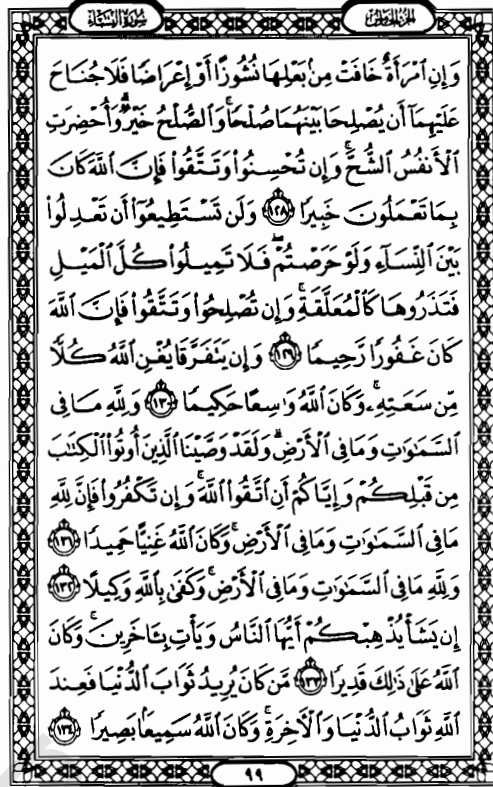
بعلمها : زوجها . نشوزاً : تحافياً عنها ،
وترفعاً عليها . إعراضاً : انصرافاً .

جُنَاح : لا إثم ، ولا حرج . الشح : شدة
البخل . أن تعدلوا : فى المحبة والموانسة .

فلا تميلوا كل الميل : فلا تميلوا عن
المرغوب عنها . من سعتة : من غناه .

فتدروها كالمعلقة : ليست مطلقة ، وليست
لها زوج . وكيلاً : شهيداً .

إن يشأ يذهبكم : يهلككم .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - بيان كيفية حل الخصومات والنزاعات بين الزوجين من القرآن الكريم .
- ٢ - بيان ما ينبغى على الزوجين حين يحدث الخلاف .
- ٣ - بيان أهمية الأسرة ومكانتها فى المجتمع وعناية القرآن بتنظيم أحوالها .

المحتوى التربوى :

يستأنف السياق الحديث عن التنظيم الاجتماعى - فى محيط الأسرة - فى هذا المجتمع الذى كان الإسلام ينسبه بمنهج الله المنزل من الملاء الأعلى ، لا بعوامل التغير الأرضية فى عالم المادة أو دنيا الإنتاج ؛ ولقد نظم المنهج - من قبل - حالة النشوز من ناحية الزوجة والإجراءات التى تتخذ للمحافظة على كيان الأسرة ، وهنا ينظم حالة النشوز والإعراض حين يخشى وقوعها من ناحية الزوج ، فهتدد أمن المرأة وكرامتها ، وأمن الأسرة كلها كذلك . إن القلوب تتقلب ، وإن المشاعر تتغير ، والإسلام منهج حياة يعالج كل جزئية فيها ، ويتعرض لكل ما يعرض لها ؛ فى نطاق مبادئه واتجاهاته ، وتصميم المجتمع الذى يرسمه وينشئه وفق هذا التصور .

فإذا خشيت المرأة أن تصبح مجفوة ؛ وأن تؤدي هذه الجفوة إلى الطلاق - وهو أبغض الحلال إلى الله - أو إلى الإعراض ، الذي يتركها كالمعلقة . لا هي زوجة ولا هي مطلقة فليس هناك حرج عليها ولا على زوجها ، أن تتنازل له عن كل شيء من فرائضها المالية أو فرائضها الحيوية ، كأن تترك له جزءاً أو كلا من نفقتها الواجبة عليه ، أو أن تترك له قسمتها وليتها . ، إن كانت له زوجة أخرى يؤثرها ، وكانت هي قد فقدت حيويتها للعشرة الزوجية أو جاذبيتها ، هذا كله إذا رأت هي - بكامل اختيارها وتقديرها لجميع ظروفها - أن ذلك خير لها وأكرم من طلاقها .

ثم يعقب على الحكم - بأن الصلح إطلاقاً خير من الشقاق والجفوة والنشوز والطلاق ، وهو هنا - في هذا الحكم - يتعامل مع هذا الإنسان وينص على سمة من سماته في هذا المجال وهي الشح في قوله : ﴿ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ﴾ أى أن الشح حاضر دائماً في الأنفس ، وهو دائماً قائم فيها بكل أنواعه ، وقد تترتب في حياة الزوجين - أو تعرض - أسباب تستثير هذا الشح في نفس الزوج تجاه زوجته ، فيكون تنازلاً له عن شيء من مؤخر صداقتها أو من نفقتها - إرضاء لهذا الشح بالمال ، تستبقى معه عقدة النكاح ! والأمر على كل متروك في هذا للزوجة وتقديرها لما تراه مصلحاً لها ، لا يلزمها التشريع بشيء ؛ ولكنه فقط يجيز لها التصرف ، ويمنحها حرية النظر والتدبر في أمرها وفق ما تراه .

وبالرغم من اعتراف المنهج الرباني بطبيعة النفس البشرية ، وما فيها من شح ، يهتف لها هتافاً آخر وهو الإحسان والتقوى ؛ لأنها مناط الأمر في النهاية ، ولن يضيع منها شيء على صاحبها ، فإن الله خير بما تعمله كل نفس ؛ خير ببواعثه وكوامنه ، والتهافت للنفس المؤمنة بالإحسان والتقوى ، والنداء لها باسم الله الخير بما تعمل ، هتاف مؤثر ونداء مستجاب ، ويواجه النص واقع النفس البشرية ، وملابسات الحياة البشرية ، فالله الذي فطر النفس يعلم من خطراتها أنها ذات ميول لا تملكها ، ومن ثم أعطاها هذه الميول خطأً لينظم حركتها فقط ، لا ليعدمها ويقتلها !

من هذه الميول أن يميل القلب البشري إلى إحدى الزوجات ويؤثرها على الأخريات فيكون ميله إليها أكثر من الأخرى أو الأخريات ، وهذا ميل لا حيلة له فيه ؛ ولا يملك محوه أو قتله .. فماذا ؟ إن الإسلام لا يحاسبه على أمر لا يملكه ، فيدعه موزعاً بين ميل لا يملكه وأمر لا يطيقه ! بل إنه يصارح الناس بأنهم لن يستطيعوا أن يعدلوا بين النساء - ولو حرصوا - لأن الأمر خارج عن إرادتهم . ولكن هناك ما هو داخل في إرادتهم . هناك العدل في المعاملة والقسمة ، والنفقة والعدل في الحقوق الزوجية كلها ، حتى الابتسامة في الوجه ، والكلمة الطيبة باللسان .

فأما حين تحف القلوب ، فلا تطيق هذه الصلة ؛ ولا يبقى في نفوس الزوجين ما تستقيم معه الحياة ، فالتفرق إذن خير ؛ لأن الإسلام لا يمسك الأزواج بالسلاسل والحبال ، إنما يمسكهم بالمودة والرحمة ، أو بالواجب والتجمل ، فإذا حدث التفرق ، فإن الله يبعد كلاً منهما أن يغنيه من

فضله هو ، وما عنده هو ، وهو - سبحانه - يسع عباده ويوسع عليهم بما شاء في حدود حكمته وعلمه بما يصلح لكل حال .

ثم ينتقل السياق بعد نظم شؤون الأسرة ، ليتناول قطاعاً آخر بالتنظيم الرباني ليربط نظم الأسرة بالنظام الكوني كله ؛ وسلطان الله في الكون كله ، وملكه الله للكون كله ، ووحدانية الوصية التي وصى الله بها الناس في كتبه كلها ؛ وثواب الدنيا ، وثواب الآخرة ، وهي القواعد التي يقوم عليها المنهج كله ، قواعد الحق والعدل والتقوى .

ويكثر في القرآن التعقيب على الأحكام ، وعلى الأوامر والنواهي بأن الله ما في السموات وما في الأرض ؛ أو بأن الله ملك السموات والأرض ، فالأمران متلازمان في الحقيقة . فالمالك هو صاحب السلطان في ملكه ؛ وهو صاحب حق التشريع لمن يحتويهم هذا الملك . والله وحده هو المالك ، ومن ثم فهو وحده صاحب السلطان الذي يشرع به للناس ، كذلك يبرز هنا من وصية الله - سبحانه - لكل من أنزل عليهم كتاباً ، الوصية بالتقوى ، وذلك بعد تعيين من له ملكية السموات والأرض ومن له حق الوصية في ملكه ، فصاحب السلطان الحقيقي هو الذي يُخشى ويُخاف . وتقوى الله هي الكفيلة بصلاح القلوب ، وحرصها على منهجه في كل جزئياته ، كذلك يبين لمن يكفرون ضلالة شأنهم في ملك الله ؛ وهو أن أمرهم إليه سبحانه ؛ وقدرته على الذهاب بهم والمجيء بغيرهم ، ويختتم هذا التعقيب بتوجيه القلوب الطامعة في الدنيا وحدها ، إلى أن فضل الله أوسع ، فعنده ثواب الدنيا والآخرة وفي استطاعة الذين يقصرون همهم على الدنيا أن يتطلعوا بأنظارهم وراءها ، وأن يأملوا في خير الدنيا وخير الآخرة .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن على الزوجين أن يصلحا ما بينهما على النحو الذي يحفظ لكل منهما حقه ، ويلتزم بأداء واجبه ، لأن المبدأ العام في جميع أحوال التنازع هو : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ ، ومع هذا الخير نزول أسباب الخصام والنشوز والإعراض .

٢ - أن الزوجين مطالبان بتقوى الله في تعاملهما ، وتقوى الله في أوضح صورها وأبسطها هي خوف الوقوع في الإثم والخرج ، وما يوقع الإنسان في الإثم والخرج إلا مخالفته سبحانه فيما أمر أو نهى .

٣ - أن الزوجين إذا افترقا ، وقد أصلح كل منهما ما وسعه واتقى الله في الطرف الآخر ، ثم استحال بينهما العشرة فإن الله تعالى سيجعل لكل منهما عوضاً عن الآخر خيراً منه إذا حسنت نيته واتقى الله كما أمره .

٤ - أن من لم يتق الله تعالى في نفسه أو مع غيره فما أضر إلا نفسه ، وما ضر الله في شيء ؛ لأنه سبحانه غنى عن تقوى الناس وعبادتهم ، وإنما هم المحتاجون إلى تلك التقوى والعبادة لتستقيم لهم معها حياة إنسانية كريمة .

معانى الكلمات :

قوامين بالقسط: محافظين على إقامة العدل.

شهداء لله : مخلصين الشهادة لله .

تلوها : تحرفوا في الشهادة . أولى بها : أحق

بها . أن تعدلوا : كراهة العدول عن الحق.

تعرضوا : تمنعوا عن أداؤها .

أيتفون عندهم العزة : يطلبون بموالة

الكفار القوة والغلبة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان أهمية إقامة العدل ، وأثره في

كيان الجماعة المسلمة .

٢ - أن نعلم أهمية أداء الشهادة لله ،

ونؤديها على وجهها الصحيح .



٣ - أن نعرف متطلبات الإيمان الكامل ، ونلتزم به .

٤ - أن نعلم ضوابط الجلوس مع المنافقين والكافرين .

المحتوى التربوي :

في هذه الآيات نواصل مع السياق حلقات التربية المنهجية ؛ لرسم قواعد المنهج التربوي في القرآن الكريم ، الموضوع للناس جميعاً ، في أجيالهم كلها ، لتأخذ بيدهم من سفوح الجاهلية ، إلى قمم الإسلام السامقة . فيأمر الجماعة المسلمة بإقامة العدل بين الناس ؛ العدل الذي تتعامل فيه الجماعة مع الله مباشرة ، متجردة من كل عاطفة أو هوى أو مصلحة . متجردة من كل اعتبار آخر غير تقوى الله ومرضاته ، ثم يدعوهم دعوة ثانية إلى الإيمان بعناصر الإيمان الشامل بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

يقول صاحب الظلال : « ولكل عنصر من هذه العناصر قيمته في تكوين العقيدة الإيمانية ، وقيمته في تكوين التصور الإسلامي ، المتفوق على جميع التصورات الأخرى التي عرفتھا البشرية ، قبل الإسلام وبعده ، والذي يحمل عنصر التفوق دائماً لكل جماعة تؤمن به حقاً وتعمل

بمقتضياته كاملة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . حيث تحق كلمة الله : ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ .

وبعد الأمر بالإيمان ، يحىء التهديد على الكفر بعناصر الإيمان ، مع التفصيل فيها في موضع البيان قبل العقاب .. والذي يكفر بالله الذى تؤمن به الفطرة في أعماقها كحركة ذاتية منها واتجاه طبيعى فيها ، ويكفر بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، استمداداً من كفره بالحقيقة الأولى الذى يكفر هذا الكفر تكون فطرته قد بلغت من الفساد والتعطل والخراب ، الحد الذى لا يُرجى معه هدى ؛ ولا يرتقب بعده مآب !

وبعد هذين النداءين بإقامة العدل والإيمان وبيان عناصره ، يأخذ السياق في الحملة على النفاق والمنافقين ، ويبدأ بوصف حالة من حالاتهم الواقعة - حينذاك - فالكفر الذى يسبق الإيمان يغفره الإيمان ويمحوه ، فالذى لم يشهد النور معذور إذا هو أدلج في الظلام ، فأما الكفر بعد الإيمان مرة ومرة فهو الكبيرة التى لا مغفرة لها ولا معذرة ؛ لأن الكفر حجاب فمتى سقط اتصلت الفطرة بالله ، وذاقت الروح حلاوة الإيمان . فالذين يرتدون بعد الإيمان مرة ومرة ، إنما يفترون على الفترة عن معرفة ، ويلجئون في الغواية عن عمد ، ويذهبون مختارين إلى التيه الشارد والضلال البعيد . فعدّل ألا يغفر الله لهم ؛ وعدّل ألا يهديهم سبيلاً ؛ لأنهم الذين أضاعوا السبيل بعدما عرفوه وسلكوه . وهم الذين اختاروا السيئة والعمى ، بعدما هدوا إلى المثابة والنور .

ويستأنف السياق الحملة على المنافقين باستعمال كلمة « بشر » مكان كلمة أنذر ، وفي جعل العذاب الأليم ينتظر المنافقين بشارة ! ثم بيان سبب هذا العذاب الأليم ، وهو ولايتهم للكافرين دون المؤمنين ، وسوء ظنهم بالله ؛ وسوء تصورهم لمصدر العزة والقوة .

والكافرون المذكورون هنا هم - على الأرجح - اليهود ؛ الذين كان المنافقون يأوون إليهم ، ويتخنسون عندهم ، ويبيتون معهم للجماعة المسلمة شتى المكائد . والله جل جلاله - يسأل في استنكار : لم يتخذون الكافرين أولياء وهم يزعمون الإيمان ؟ لم يضعوا أنفسهم هذا الموضع ، ويتخذون لأنفسهم هذا الموقف ؟ أهم يطلبون العزة والقوة عند الكافرين ؟ لقد استأثر الله - عز وجل - بالعزة ؛ فلا يجدها إلا من يتولاه ؛ ويطلبها عنده ؛ ويرتكب إلى حماه .

ويقول صاحب الظلال مُعلّقاً : « ألا إنه لسند واحد للنفس البشرية تجدد عنده العزة ، فإن ارتكبت إليه استعلت على من دونه ، وألا إنها لعبودية واحدة ترفع النفس البشرية وتحريها ، العبودية لله ، فإن لم تطمئن إليها النفس استعبدت لقيم شتى ؛ وأشخاص شتى ؛ واعتبارات شتى ، ومخاوف شتى ، ولم يعصمها شيء من العبودية لكل أحد ولكل شيء ولكل اعتبار .

وإنه إما عبودية لله كلها استعلاء وعزة وانطلاق . وإما عبودية لعباد الله كلها استخذاء وذلة وأغلال ، ولمن شاء أن يختار .

وما يستعز المؤمن بغير الله وهو مؤمن . وما يطلب العزة والنصرة والقوة عند أعداء الله وهو يؤمن بالله .، وما أحوج ناساً ممن يدعون الإسلام ؛ ويتسمون بأسماء المسلمين ، وهم يستعينون بأعدى أعداء الله في الأرض ، أن يتدبروا هذا القرآن ، إن كانت بهم رغبة في أن يكونوا مسلمين ، وإلا فإن الله غنى عن العالمين !

ويوضح أولى مراتب النفاق وهو أن يجلس المؤمن مجلساً يسمع فيه آيات الله يكفر بها ويستعزأ بها ، فيسكت ويتغاضى ، يسمى ذلك تسامحاً ، أو يسميه دهاء ، أو يسميه سعة صدر وأفق وإيماناً بحرية الرأي !!! وهذه هى الهزيمة الداخلية تدب في أوصاله ؛ وهو يموء على نفسه في أول الطريق ، حياء منه أن تأخذه نفسه متلبساً بالضعف والهوان .

ويقول صاحب الظلال: « إن الحمية لله ، ولدين الله ، ولآيات الله ، هى آية الإيمان وما تفتقر هذه الحمية إلا وينهار بعدها كل سد ؛ وينزاح بعدها كل حاجز ، وينجرف الحطام الواهى عند دفعة التيار ، وإن الحمية لتكبت في أول الأمر عمداً ثم تهمد . ثم تموت . فمن سمع الاستهزاء بدينه في مجلس ، فإما أن يدفع ، وإما أن يقاطع المجلس وأهله . فأما التغاضى والسكوت فهو أول مراحل الهزيمة . وهو المعبر بين الإيمان والكفر على قنطرة النفاق ! ما ترشدنا إليه الآيات تروياً :

١ - أن العدل والحق جوهر رسالة الإسلام ، وإقرارهما هو واجب المسلمين الثابت الذى لا ينفك عنهم ، ولا يجوز لهم أن ينفكوا عنه حتى لو كان تعاملهم مع أعدائهم .

٢ - لابد من تجديد الإيمان وترسيخه بمزيد من العمل الصالح واليقين الراسخ ، والتوكل على الله ، والاستمداد منه .

٣ - الإيمان القوى الراسخ لا تزعزعه الأحداث ، ولا يصاحبه خوف من بطش باطش ولا ظلم ظالم .

٤ - من علامات النفاق موالاة الكفار ، واتخاذهم نصراء وأعواناً وأصدقاء من دون المؤمنين .

٥ - مجالس اللهو والمعصية والاستهزاء بآيات الله والفسق والفجور يحرم ارتيادها على المسلمين .

معاني الكلمات :

يربصون بكم : ينتظرون ما يحدث لكم .
 فتح : نصر وظفر وغنيمة . يخادعون الله :
 يظهرون الإيمان ويطنون الكفر .
 ألم نستحوذ عليكم : ألم نغلبكم فأبقينا
 عليكم . مذبذبين بين ذلك : مُرددين بين
 الكفر والإيمان .
 سلطانا مينا : حجة ظاهرة في العذاب .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١- أن نعلم صفات المنافقين فنحذرهم ،
 ولا نتمثل سلوكهم .
- ٢- أن نعلم موازين الغلبة على الكافرين
 والمنافقين فنسلكها .
- ٣- بيان ضرورة إخلاص العبادة لله ،

والاجتهاد فيها ، والقيام إليها بنشاط ورغبة ، وحب لله ، وبعد عن الرياء .

- ٤- بيان أهمية التوبة والشكر وكونها سبيل النجاة من عذاب الله .

المحتوى التربوي :

يأخذ السياق القرآني - في هذه الآيات - في بيان سمات المنافقين ، في رسم لهم صورة منفرة ؛
 وهم يلقون المسلمين بوجه ويلقون الكفار بوجه ؛ ويمسكون العصا من وسطها ، ويتلون
 كالديدان والنعابين ، فهم يربصون بالمسلمين الدوائر ، ويتظاهرون بالمودة للمسلمين حين
 يكون لهم فتح من الله ونعمة ؛ ففى قلوبهم السم ، وعلى ألسنتهم الدهان ! ولكنهم بعد ضعاف ،
 صورتهم شائثة تعافها نفوس المؤمنين ، ومع هذا الحقد الأسود الذى انطوت عليه صدورهم ؛
 فإن الله تعالى يطمئن الذين آمنوا بوعده قاطع ؛ أن هذا الكيد الخفى الماكر ، وهذا التآمر مع
 الكافرين ، لن يغير من ميزان الأمور ، ولن يجعل الغلبة والقهر للكافرين على المؤمنين .

ويقول صاحب الظلال : « وفي تفسير هذه الآية : ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ وردت رواية أن المقصود بهذا النص يوم القيامة حيث يحكم الله بين المؤمنين والمنافقين فلا يكون هناك للكافرين على المؤمنين سبيل .



كما وردت رواية أخرى بأن المقصود هو الأمر في الدنيا بألا يسלט الله الكافرين على المسلمين تسليط استئصال. وإن غلب المسلمون في بعض المعارك ، وفي بعض الأحيان ، وإطلاق النص في الدنيا والآخرة أقرب ؛ لأنه ليس فيه تحديد .

ويقول صاحب الظلال : « وأنا أقرر في ثقة بوعده الله لا يخالجه شك ، أن الهزيمة لا تلحق بالمؤمنين ، ولم تلحق بهم في تاريخهم كله ، إلا وهناك ثغرة في حقيقة الإيمان إما في الشعور وإما في العمل - ومن الإيمان أخذ العدة ، وإعداد القوة في كل حين بنية الجهاد في سبيل الله ، وتحت هذه الراية وحدها مجردة من كل إضافة ومن كل شائبة ، وبقدر هذه الثغرة تكون الهزيمة الوقتية ؛ ثم يعود النصر للمؤمنين - حين يوجدون !

ففي « أحد » مثلاً كانت الثغرة في ترك طاعة الرسول ﷺ وفي الطمع في الغنيمة . وفي « حنين » كانت الثغرة في الاغترار بالكثرة والإعجاب بها ونسيان السند الأصيل ! ولو ذهبنا نتبع كل مرة تخلف فيها النصر عن المسلمين في تاريخهم لوجدنا شيئاً من هذا ، نعرفه أو لا نعرفه ، أما وعد الله فهو في كل حين » .

ثم تمضى الآيات بعد ذلك الوعد القاطع المطمئن للمؤمنين . المخذل للمنافقين الذي يتولون الكافرين يبتغون عندهم العزة ، يمضى في رسم صورة أخرى لهم ، مصحوبة بالتهوين من شأنهم وبوعيد الله لهم ، فهم « يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَذِّعُهُمْ » ، أى مستدرجهم وتاركهم في غيهم ؛ يمضون في طريق الهاوية حتى يسقطوا ؛ وصورتهم الأخرى الكريمة أنهم يقومون إلى الصلاة كسالى يراؤون الناس ، فهم لا يتذكرون الله إنما يتذكرون الناس ! وهم لا يتوجهون إلى الله ، إنما هم يراؤون الناس علاوة على ذلك يتأرجحون بين الكفر والإيمان ، ومن ثم حقت عليهم كلمة الله ، واستحقوا ألا يعينهم في الهداية ، ومن ثم فلن يستطيع أحد أن يهديهم سبيلاً . ولا أن يجد لهم طريقاً مستقبياً . « وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا » .

وبعد هذه الصورة المنفرة والسيئة للمنافقين يتجه السياق للمؤمنين تحذراً إياهم أن يسلكوا طريق هؤلاء المنافقين - وطريق المنافقين - كما سبق - هو اتخاذهم الكفار أولياء من دون المؤمنين ويحذروهم بطش الله ونقمته ، كما يصور لهم مصير المنافقين في الآخرة . وهو مصير مفرع رهيب ومهين وذليل ، فهم في الدرك الأسفل من النار ، وهو مصير يتفق مع ثقله الأرض التي تلصقهم بالتراب ، فلا يتطلقون ولا يرتفعون . ثقله المطامع والרגائب ، والحرص والحذر ، والضعف والخوف ، وموالاة الكافرين ومداواة المؤمنين والوقوف في الحياة ذلك الموقف المهين : « مُدْبَذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ » .. فهم كانوا في الحياة الدنيا يزاولون تهيئة أنفسهم وإعدادها لذلك المصير المهين .

وبعد هذا المشهد المفزع يفتح لهم باب النجاة ، باب التوبة لمن أراد النجاة ، ويقول صاحب الظلال مُعلقاً على هذه الآيات : « والتوبة والإصلاح يتضمنان الاعتصام بالله ، وإخلاص الدين

الله ، ولكنه هنا ينص على الاعتصام بالله ، وإخلاص الدين لله ؛ لأنه يواجه نفوساً تذبذبت ، ونافقت ، وتولت غير الله ، فناسب أن ينص عند ذكر التوبة والإصلاح ، على التجرد لله ، والاعتصام به وحده ؛ وإخلاص هذه النفوس من تلك المشاعر المذبذبة ، وتلك الأخلاق المخلخلة ؛ ليكون في الاعتصام بالله وحده قوة وتماسك ، وفي الإخلاص لله وحده خلوص وتجرد .

وبذلك تخف تلك الثقلة التي تهبط بالمنافقين في الحياة الدنيا إلى اللصوق بالأرض ، وتهبط بهم في الحياة الآخرة إلى الدرك الأسفل من النار ؛ وبذلك يرتفع التائبون منهم إلى مصاف المؤمنين ؛ المعترزين بعزة الله وحده ، المستعلين بالإيمان ، المنطلقين من ثقل الأرض بقوة الإيمان وجزاء المؤمنين - ومن معهم - معروف : ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

وأخيراً يتساءل الله عز وجل - متعجباً : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ ﴾؟! إن عذابه لجزاء على الجحود والكفران ؛ وتهديد لعله يقود إلى الشكر والإيمان ، إنها ليست شهوة التعذيب ، ولا رغبة التنكيل ، ولا التذاذ الآلام ، ولا إظهار البطش والسلطان ، تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيراً ، فمتى اتقيتم بالشكر والإيمان ؛ فهناك الغفران والرضوان وهناك شكر الله - سبحانه - لعبده وعلمه - سبحانه - بعباده ، وهذه إشارة إلى معالم الطريق .. الطريق إلى الله الواهب المنعم ، الشاكر العليم .
ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - متى استقرت حقيقة الإيمان في نفوس المؤمنين ، وتمثلت في واقع حياتهم منهجاً للحياة ، ونظاماً للحكم ، وتجرداً لله في كل خاطرة وحركة ، وعبادة لله في الصغيرة والكبيرة ، فلن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً .

٢ - القوارع والمحن كثيراً ما تكون رحمة من الله ، حين تصيب العباد ، فتردهم سريعاً عن الخطأ أو تعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ؛ وكثيراً ما تكون العافية والنعمة استدراجاً من الله للمذنبين الغاوين ؛ لأنهم بلغوا من الإثم والغواية ما يستحقون معه أن يتركوا بلا قارعة ولا نذير ؛ حتى ينتهوا إلى شر مصير .

٣ - ضرورة إخلاص العبادة لله ، والاجتهاد فيها ، والقيام إليها بنشاط ورغبة ، وحب لله ، والبعد عن الرياء .

٤ - رحمة الله تعالى باب مفتوح دائماً ، ويتسع لكل خلقه حتى من كفر منهم أو نافق إذا تاب إلى الله عز وجل .

٥ - عقاب الله وعذابه لا يُعفى منه إلا من آمن بالله وشكره بالقلب واللسان والجوارح .

معاني الكلمات :

الجهر : الإعلان .

سبيلاً : طريقاً بين الكفر والإيمان .

أعتدنا : أعددنا وهيأنا .

جهرة : عياناً ومواجهة .

الصاعقة : نار من السماء أو صيحة منها .

اتخذوا العجل : عبدوه وجعلوه إلهاً .

الطور : جبل سيناء في مصر .

بميثاقهم : بعهدهم .

الباب : باب بيت المقدس .

لا تعدوا في السبت : لا تعتدوا باصطياد

الحيتان فيه .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان قبح الجهر بالسوء ، وضوابط الجهر به .

٢ - بيان حقيقة الإيمان الكامل الشامل .

٣ - أن نعلم حقيقة اليهود كما ذكرها الله في القرآن .

المحتوى التربوي :

تستكمل هذه الآيات طرفاً من تطهير القرآن للنفس والمجتمع ، وتربيته على الآداب الاجتماعية الإسلامية ، فيكره الله للجماعة المسلمة أن تشيع فيها مقالة السوء ، ويستثنى حق الجهر بها على من وقع عليه ظلم ، يدفعه بكلمة سوء يصف بها الظالم ، في حدود ما وقع عليه من الظلم ! ويقول صاحب الظلال : « إن الإسلام يحمى سمعة الناس - ما لم يظلموا - فإذا ظلموا لم يستحقوا هذه الحماية ؛ وأذن للمظلوم أن يجهر بكلمة السوء في ظالمه ؛ وكان هذا هو الاستثناء الوحيد من كف الألسنة عن كلمة السوء . وهكذا يوفق الإسلام بين حرصه على العدل الذي لا يطبق معه الظلم ، وحرصه على الأخلاق الذي لا يطبق معه خدشاً للحياء النفسى والاجتماعى .. » .

ويربط الأمر في النهاية بالله ، بعدما ربطه في البداية بحب الله وكرهه : ﴿ لَا تُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ ﴾ وليشعر القلب البشري أن مرد تقدير النية والباعث ، وتقدير القول والالتهام ، لله السميع لما يُقال ، العليم بما وراء ما تنطوى عليه الصدور .

ثم لا يقف النص عند هذا الحد السلبي في النهي عن الجهر بالسوء ؛ إنما يوجه إلى الخير الإيجابي عامة ، ويوجه إلى العفو عن سوء ، ويلوح بصفة الله سبحانه في العفو وهو قادر على الأخذ ، ليتخلق المؤمنون بأخلاق الله سبحانه فيما يملكون وما يستطيعون .

وعندئذ يشيع الخير في المجتمع المسلم إذا أبدوه ، ويؤدي دوره في تربية النفوس وتزكيتها إذا أخفوه - فالخير طيب في السر طيب في العلن - وعندئذ يشيع العفو بين الناس ، فلا يكون للجهر بالسوء مجال . على أن يكون عفو القادر الذي يصدر عن ساحة النفس لا عن مذلة العجز ؛ وعلى أن يكون تخلقاً بأخلاق الله ، الذي يقدر ويعفو : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ .

ويأخذ القرآن في جولة مع أهل الكتاب . فلقد كان اليهود يدعون الإيمان بأنبيائهم ؛ وينكرون رسالة عيسى ورسالة محمد ؛ كما أن النصراني يقفون بإيمانهم عند عيسى - فضلاً عن تأليهه - وينكرون رسالة محمد كذلك .

والقرآن ينكر على هؤلاء وهؤلاء ؛ ويقرر التصور الإسلامي الشامل عن الإيمان بالله ورسوله ؛ بدون تفريق بين الله ورسله ، وبدون تفريق بين رسله جميعاً ، وبهذا الشمول كان الإسلام هو « الدين » الذي لا يقبل الله من الناس غيره ، لأنه هو الذي يتفق مع وحدانية الله ؛ ومقتضيات هذه الوحدانية .

يقول صاحب الظلال : « إن التوحيد المطلق لله سبحانه يقتضي توحيد دينه الذي أرسل به الرسل للبشر ، وتوحيد رسله الذين حملوا هذه الأمانة للناس ، وكل كفر بوحدة الرسل أو وحدة الرسالة هو كفر بوحدة الله في الحقيقة ؛ وسوء تصور لمقتضيات هذه الوحدانية . فدين الله للبشر ومنهجه للناس ، هو هو لا يتغير في أساسه كما أنه لا يتغير في مصدره » .

ويمضي السياق يستعرض بعض مواقف اليهود في مجال الجهر بالسوء الذي بدت به هذه الآيات ، فلقد وقف اليهود في الجزيرة العربية من الإسلام ونبي الإسلام موقفاً عدائياً ، فطلبوا من الرسول ﷺ أن يأتيهم بكتاب من السماء . كتاب مخطوط ينزله عليهم من السماء مجسماً يلمسونه بأيديهم ، ويتولى الله - سبحانه - الإجابة عن نبيه . ويقص عليه وعلى الجماعة المسلمة - في مواجهة اليهود - صفحه من تاريخهم الأسود مع نبيهم موسى ﷺ الذي يزعمون أنهم يؤمنون به ؛ ويرفضون التصديق بعيسى من بعده وبمحمد !

إن هذا السلوك المقيت ليس جديداً عليهم ، وإنما هو ديدنهم من قديم إنهم هم هم من عهد موسى وحتى تقوم الساعة ، أجلاف غلاظ القلوب لا يدركون إلا المحسوسات ، ولا يسلمون إلا تحت القهر والبطش ، وهم هم كفراً وغدراً ونقضاً للعهد ؛ ولا يتورعون كذلك عن الجهر بالسوء ، فيقول الله لنبيه ﷺ فلا عليك من هذا التعنت ؛ ولا غرابة فيه ولا عجب منه ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ، وهو مطلب طابعه التبجح الذى يصدر عن طبع خالطته بشاشة الإيمان ؛ أو فيه استعداد للإيمان ، ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بَظُلْمِهِمْ ﴾ .

ولكن الله - سبحانه - عفا عنهم ؛ وتقبل فيهم دعاء موسى ﷺ وضراعتة إلى ربه ولكن اليهود هم اليهود . لا يفلح معهم إلا القهر والخوف ؛ فأعطى الله - عز وجل - موسى ﷺ الشريعة التى تضمنتها الألواح ، فشرعية الله سلطان من الله ؛ وكل شريعة غير شريعة الله ما أنزل الله بها من سلطان ؛ وما جعل فيها من سطوة على القلوب ، لذلك تستهين القلوب بالشرائع والقوانين التى يسنها البشر لأنفسهم ، ولا تنفذها إلا تحت عين الرقيب وسيف الجلاد ، فأما شريعة الله فالقلوب تخضع لها وتخضع لها فى النفس مهابة وخشية .

ولكن اليهود الذين لا تستشعر قلوبهم الإيمان أبوا الاستسلام لما فى الألواح ، وهنا جاءهم القهر المادى الذى يناسب طبيعتهم الفظة الغليظة ، إذا نظروا فأروا الصخرة معلقة فوق رؤوسهم ؛ تهددهم بالوقوع عليهم ؛ إذا هم لم يستسلموا ولم يتعهدوا بأخذ ما أعطاهم الله من العهد ؛ وما كتب عليهم من التكاليف فى الألواح . وعندئذ فقط استسلموا ؛ وأخذوا العهد ؛ وأعطوا الميثاق . ميثاقاً غليظاً .. مؤكداً وثيقاً .

ما ترشدنا إليه الآيات تريبوياً :

١ - أن المسلم محظور عليه أن يجهر بالسوء من القول ، لأن الله يبغض هذا السلوك ويبغض صاحبه ، وذلك لتطهير المجتمع المسلم من البذاءة والفحش والكلام السيئ ، فالله تعالى لا يحب الجهر بالسوء .

٢ - أن الإيمان بالله يقتضى الإيمان برسله أجمعين دون تفريق بينهم .

٣ - أن الأنبياء جميعاً من عند الله ، ومناهجهم جميعاً تقوم على توحيد الله وعبادته ، فالكفر بأحد هؤلاء الأنبياء كفر بهم جميعاً وكفر بالله تعالى .

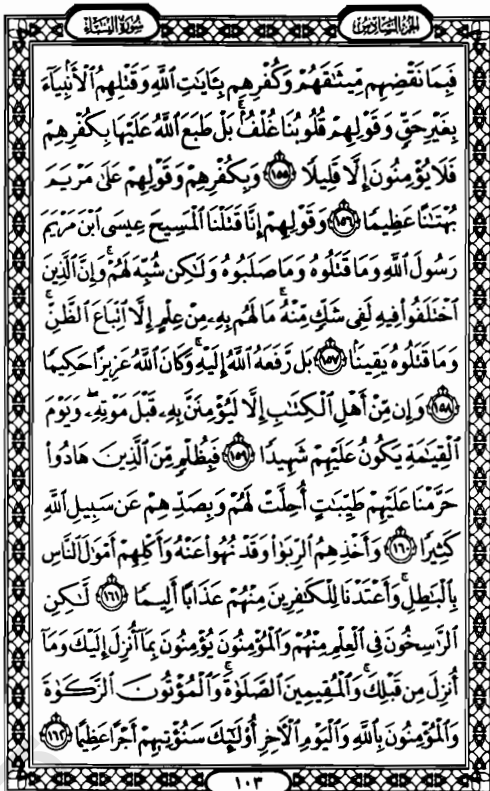
٤ - أن اليهود فى كل زمان ومكان أهل لجاجة وتعنت وعناد ، لذا فلا عهد لهم ولا ذمة ولا أمان .

معاني الكلمات :

قلوبنا غُلف : مُغَشَاة بأغطية خَلْقِيَّة فلا
تعى . طَبَعَ اللهُ عليها : ختم عليها فحجبها
عن العلم . بهتانا عظيماً : كذباً وباطلاً
فاحشاً . رفعه الله إليه : رفعه حياً إلى السماء
بجسده وروحه . شُبِّهَ لهم : ألقى على
المقتول شَبَه عيسى عليه السلام

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - بيان بطلان اعتقاد النصارى فى أن
عيسى عليه السلام صلب وقتل .
- ٢ - بيان أثر المعاصى فى الحرمان من
خير الدنيا والآخرة .
- ٣ - بيان حرمة أكل أموال الناس
بالباطل كالربا والسرقه والغش .



٤ - أن نعرف فضل الرسوخ فى العلم والإيمان على أصحابها .

المحتوى التربوى :

تواصل الآيات الحديث عن اليهود الذين أخذ الله عليهم الميثاق ؛ وكان فى هذا الميثاق : أن يدخلوا بيت المقدس سُجداً . وأن يعظموا السبت الذى طلبوا أن يكون لهم عيداً . ولكن ماذا كان ؟ إنهم بمجرد ذهاب الخوف عنهم ؛ وغياب القهر عنهم ، نقضوا الميثاق ، وكفروا بآيات الله ، وقتلوا أنبياءه بغير حق . وتبجحوا فقالوا : إن قلوبنا لا تقبل موعظة ، ولا يصل إليها قول ؛ لأنها مُغلقة دون كل قول .

يقول صاحب الظلال : « قلوبهم ليست مُغلقة بطبعها إنما هم كفروهم جَرَّ عليهم أن يطبع الله على قلوبهم ، فإذا هى صلدة جامدة مغطاة ، لا تستشعر نداوة الإيمان ولا تتذوق حلاوته ، فلا يقع منهم الإيمان ، إلا قليلاً ، كعبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سعيّة ، وأسد بن عبيد الله » .

ويعود القرآن فيكرر صفة الكفر كلما ذكر إحدى منكراتهم ، وذكرها هنا بمناسبة قولهم على مريم الطاهرة بهتاناً عظيماً ! فرموا بالزنا مع يوسف النجار - لعنة الله عليهم ! ثم تبجحوا بأنهم قتلوا المسيح وصلبوه وهم يتهمون بدعواه الرسالة فيقولون : قتلنا عيسى ابن مريم رسول الله !

ويتولى القرآن الرد عليهم بأنهم ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَئِنْ شِئْتُمْ لَهُمْ ﴾ ، ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ، ولا يدل القرآن بتفصيل في هذا الرفع أكان بالجسد والروح في حالة الحياة ؟ أم كان بالروح بعد الوفاة ؟ ومتى كانت هذه الوفاة وأين ؟ وهم ما قتلوه وما صلبوه وإنما وقع القتل والصلب على من شبه لهم سواء .

ويقرر النص القرآني حقيقة حاسمة وهي أن اليهود الذين كفروا بعيسى عليه السلام - وما زالوا على كفرهم به - وقالوا : إنهم قتلوه وصلبوه ، ما من أحد منهم يدركه الموت ، حتى تكشف له الحقيقة عند حشجة الروح ، فيرى أن عيسى حق ، ورسالته حق ، فيؤمن به ، ولكن حين لا ينفعه إيمان .. ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيداً ، وبذلك يحسم القرآن الكريم قصة الصلب . ثم يعود بعدها إلى تعداد منكر اليهود ؛ وما نالهم عليها من الجزاء الأليم في الدنيا والآخرة .

فيضيف إلى ما سبق من منكرهم : الظلم ، والصد الكثير عن سبيل الله ، فهم معنون فيه ودائبون عليه ، وأخذهم الربا - ليس عن جهل - فقد نهوا عنه فأصروا عليه ! وأكلهم أموال الناس بالباطل . بالربا وغيره من الوسائل .

بسبب هذه المنكرات وغيرها ، حرمت عليهم طيبات كانت حلالاً لهم ، وأعد الله للكافرين منهم عذاباً أليماً .

ويقول صاحب الظلال : « وهكذا تتكشف هذه الحملة عن كشف طبيعة اليهود وتاريخهم وفضح عللهم ، وعدم الاستجابة للرسول وتعتهم ؛ ودمغهم بالتعنت مع نبيهم وقائدهم ومنقذهم ؛ ويسر ارتكابهم للمنكر وجهرهم بالسوء في حق الأنبياء والصالحين .. بل قتلهم والتبجح بقتلهم ! وتسقط بذلك وتتهوى دسائس اليهود في الصف المسلم وكيدهم ومكرهم وجباثلهم . وتعرف الجماعة المسلمة - ما ينبغي أن تعرفه الأمة المسلمة في كل حين عن طبيعة اليهود وجبلتهم ، ووسائلهم وطرائقهم ، ومدى وقوفهم للحق في ذاته سواء جاء من غيرهم أو نبع فيهم ، فهم أعداء للحق وأهله ، وللهدى وحملته . في كل أجيالهم وأزمانهم . مع أصدقائهم وأعدائهم ؛ لأن جبلتهم عدوة للحق في ذاته ؛ جاسية قلوبهم غليظة أكبادهم لا يحنون رؤوسهم إلا للمطرقة ! ولا يسلمون للحق إلا وسيف القوة مصلتاً على رقابهم » .

ومع ذلك ينصفهم القرآن الكريم ، - القليل المؤمن منهم - ويقرر حُسن جزائهم ، وهو يضمهم إلى موكب الإيمان العريق ، ويشهد لهم بالعلم والإيمان ، ويقرر أن الذى هداهم إلى التصديق بالدين كله : ما أنزل إلى الرسول ﷺ وما أنزل من قبله ، هو الرسوخ فى العلم وهو الإيمان ؛ فالعلم الراسخ ، والإيمان المنير ، كلاهما يقود أهله إلى الإيمان بالدين كله ، كلاهما يقود إلى توحيد الدين الذى جاء من عند الله الواحد .

ويقول صاحب الظلال : « وذكر العلم الراسخ بوصفه طريقاً إلى المعرفة الصحيحة كالإيمان الذى يفتح القلب للنور ، لفئة من اللفقات القرآنية التى تصور واقع الحال التى كانت يومذاك ؛ كما تصور واقع النفس البشرية فى كل حين . فالعلم السطحى كالكفر الجاحد ، هما اللذان يحولان بين القلب وبين المعرفة الصحيحة ، ونحن نشهد هذا فى كل زمان . فالذين يتعمقون فى العلم، ويأخذون منه بنصيب حقيقى، يجدون أنفسهم أمام دلائل الإيمان الكونية - أو على الأقل - أمام علامات استفهام كونية كثيرة ، لا يجيب عليها إلا الاعتقاد بأن لهذا الكون إلهاً واحداً مسيطراً مدبراً متصرفاً ، وذا إرادة واحدة ، وضعت ذلك التاموس الواحد ، وكذلك الذين تتشوف قلوبهم للهدى - المؤمنون - يفتح الله عليهم ، وتتصل أرواحهم بالهدى ، أما الذين يتناوشون المعلومات ويحسبون أنفسهم علماء ، فهم الذين تحول قشور العلم بينهم وبين إدراك دلائل الإيمان ، أو لا تبرز لهم - بسبب علمهم السطحى الناقص - علامات الاستفهام . وشأنهم شأن من لا تهفو قلوبهم للهدى ولا تشناق ، وكلاهما هو الذى لا يجد فى نفسه حاجة للبحث عن طمأنينة الإيمان ، أو يجعل التدين عصبية جاهلية فيفرق بين الأديان الصحيحة التى جاءت من عند ديان واحد ، على أيدي موكب واحد متصل من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - بطلان اعتقاد النصارى فى أن عيسى عليه السلام صلب وقتل ، أما اليهود فإنهم وإن لم يقتلوا عيسى فهم مؤخذون على قصدهم حيث صلبوا وقتلوا من ظنوه أنه عيسى عليه السلام .
- ٢ - المعاصى تورث الحرمان من طيبات الدنيا وأجر الآخرة .
- ٣ - الرسوخ فى العلم والإيمان يؤدي إلى العمل الصالح وإلى الانصاف بأحسن الصفات ، وإلى الابتعاد عن كل شر وكل ظلم للنفس أو للغير .
- ٤ - من يظلم نفسه أو غيره فقد عصى الله الذى حرم الظلم على نفسه وعلى عباده .

معاني الكلمات :

الأسباط : حفدة يعقوب عليه السلام . زبوراً :

رسم الكتاب الذي أنزل على داود . لم نقصصهم عليك : لم يذكروا في القرآن بأسمائهم . من قبل : من قبل هذه الآية .

مبشرين : يبشرون من أطاع الله بالخير .

بها أنزل إليك : القرآن الكريم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان الحكمة في إرسال الرسل ، وما المقصود بحجة الله على الناس يوم القيامة .

٢ - بيان معنى الشهادة ، ومن هو الشهيد .

٣ - بيان دور العقل ووظيفته تجاه الرسالة والإيمان بها .

٤ - بيان عظم وثقل التبعة التي تركها الأنبياء لأتباعهم من بعدهم .

المحتوى التربوي :

تستطرد الآيات في مواجهة أهل الكتاب - واليهود منهم في هذا الموضع خاصة - وموقفهم من رسالة محمد ﷺ وزعمهم أن الله لم يرسله ، وتفريقهم بين الرسل ، وتعتهم وهم يطلبون أمانة على رسالته : كتاباً ينزله عليهم من السماء ، فتقرر أن الوحي للرسول ليس بدعاً ، وليس غريباً ، فهو سنة الله في إرسال الرسل جميعاً من عهد نوح إلى عهد محمد - عليهما السلام - وكلهم رسل أرسلوا للتبشير والإنذار ، اقتضت هذا رحمة الله بعباده ، وأخذة الحجة عليهم ، وإنذاره لهم قبل يوم الحساب ، وكلهم جاؤوا بوحي واحد ، لهدف واحد ؛ فالتفرقة تعنت لا يستند لدليل ، وإذا أنكروا هم وتعتوا فإن الله يشهد - وكفى به شهيداً - والملائكة يشهدون .

ويقول صاحب الظلال : في قوله : ﴿ لَعَلَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ : « نفق من هذه اللفظة أمام حشد من الإيحاءات اللطيفة العميقة منها :

١ - قيمة العقل البشري ووظيفته ودوره في أخطر قضايا « الإنسان » قضية الإيمان بالله : إن دور هذا العقل أن يتلقى عن الرسالة ؛ ووظيفته أن يفهم ما يتلقاه عن الرسول ، ومهمة الرسول



أن يبلغ ويبين ، ويستتقذ الفطرة الإنسانية مما يرين عليها من الركام . وبنه العقل الإنسانى إلى تدبر دلائل الهدى وموحيات الإيمان فى النفس والآفاق ، وأن يرسم له منهج التلقى الصحيح ، ومنهج النظر الصحيح ؛ وأن يقيم له القاعدة التى ينهض عليها منهج الحياة العملية ، المؤدى إلى الدنيا والآخرة .

- وليس دور العقل أن يكون حاكماً على الدين ومقرراته من حيث الصحة والبطلان ، والقبول أو الرفض - بعد أن يتأكد من صحة صدورها عن الله ، وبعد أن يفهم المقصود بها ، فهو إذن ملزم بقبول مقررات الدين متى بلغت إليه عن طريق صحيح ، ومتى فهم عقله والمقصود بها ، وما المراد منها .

- إن هذه الرسالة تخاطب العقل ، بمعنى أنها توقظه ، وتوجهه ، وتقيم له منهج النظر الصحيح ، لا بمعنى أنه هو الذى يحكم بصحتها أو بطلانها ، وبقبولها أو رفضها ، ومتى ثبت النص كان هو الحكم ؛ وكان على العقل البشرى أن يقبله ويطيعه وينفذه ؛ سواء كان مدلوله مألوفاً له أو غريباً عليه .

٢ - نقف منها أمام التبعة العظيمة الملقاة على الرسل صلوات الله عليهم - ومن بعدهم على المؤمنين برسالاتهم - تجاه البشرية كلها . وهى تبعة ثقيلة بمقدار ما هى عظيمة .

- إن مصائر البشرية كلها فى الدنيا والآخرة سواء ، منوطة بالرسل وبأتباعهم من بعدهم فعلى أساس تبليغهم هذا الأمر للبشر ، تقوم سعادة هؤلاء البشر أو شقتهم ، ويترتب ثوابهم أو عقابهم فى الدنيا والآخرة .

فأما رسل الله صلوات الله وسلام عليه فقد أدوا الأمانة وبلغوا الرسالة ، ومضوا إلى ربهم خالصين من هذا الالتزام الثقيل ، وهم لم يبلغوها دعوة باللسان ، ولكن بلغوها - مع هذا - قدوة ممثلة فى العمل ، وجهاداً مضنياً بالليل والنهار لإزالة العقبات والعوائق ، وبما أن رسالته هى خاتمة الرسالات فلم يكتف بإزالة العوائق باللسان ، إنما أزالها كذلك باللسان ﴿ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ .

وبقى الواجب الثقيل على من بعده على المؤمنين برسالاته فهناك أجيال وراء أجيال جاءت وتحىء بعده ﷺ وتبليغ هذه الأجيال منوط - بعده - بأتباعه ، ولا فكاك لهم من هذه التبعة الثقيلة - تبعة إقامة حجة الله على الناس ، واستنفاد الناس من عذاب الآخرة وشقوة الدنيا - إلا بالتبليغ والأداء على ذات المنهج الذى بلغ به رسول الله ﷺ .

فمن ذا الذى يستهين بهذه التبعة ؟ وهى تبعة تقصم الظهر وترعد الفرائص وتمز المفاصل ؟! إن الذى يقول : إنه « مسلم » إما أن يبلغ ويؤدى الدعوة ، وإلا فلا نجاة له فى دنيا ولا فى أخرى إنه يقول : إنه « مسلم » ثم لا يبلغ ولا يؤدى كل ألوان البلاغ والأداء ، إنما يؤدى شهادة ضد

الإسلام الذى يدعيه بدلاً من أداء الشهادة له ، تحقق فيه قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۝ ﴾ .

وتبدأ شهادته للإسلام ، من أن يكون هو بذاته . ثم بيته وعائلته . ثم بأسرته وعشيرته صورة واقعية من الإسلام الذى يدعو إليه ، وتخطو شهادته الخطوة الثانية بقيامه بدعوة الأمة إلى تحقيق الإسلام فى حياتها كلها .. الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وتنتهى شهادته بالجهاد لإزالة العوائق التى تضل الناس وتفتتهم من أى لون كانت هذه العوائق فإذا استشهد فى هذا فهو إذن «شاهد» أدى شهادته لدينه ، ومضى إلى ربه ، وهذا وحده هو «الشاهد» .

فإذا أنكر أهل الكتاب هذه الرسالة الأخيرة فلينكروا : ﴿ لَيْكِنَ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ ۝ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ ﴾ وعندئذ يحىء التهديد الرعب للمنكرين فى موضعه ، بعد شهادة الله - سبحانه - وشهادة الملائكة بكذبهم وتعنتهم والتوائهم .

ولن يغفر الله لهم ولن يهديهم طريقاً ، بعدما ضلوا ضلالاً بعيداً ، وقطعوا على أنفسهم كل طريق للمغفرة . ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ ﴾ فهو القاهر فوق عباده ، وليس بينه وبين أحد من العباد صهر ولا نسب ، إلا التقوى والعمل الصالح ، ومن ثم دعوة شاملة للناس كافة - بعد هذه البيانات كلها - أن هذا الرسول إنما جاءهم بالحق من ربهم فمن آمن به فهو الخير ، ومن كفر فإن الله غنى عنهم جميعاً ، وقادر عليهم جميعاً ، وله ما فى السموات والأرض وهو يعلم الأمر كله ، ويجريه وفق علمه وحكمته .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - الله تعالى أعذر لعباده بأن أرسل إليهم رسلاً ، وأنزل مع هؤلاء الرسل كتباً ليبلغوا الناس عن ربهم ، ولثلا يكون لهم حجة على الله يوم القيامة وعند الحساب .

٢ - سعادة البشرية وشقوتها فى الدنيا والآخرة منوطة بالرسول وأتباعهم ، والرسول بلغوا وأدوا الأمانة ، وعلينا أن نبلغ الدعوة ونؤدى على نفس نهجهم .

٣ - دور العقل تجاه الرسالة ، أن يتلقى عنها ، ويفهم ما تلقاه ، ويبلغه كما فهمه دون تحريف أو تأويل كما بلغت إليه .

٤ - شهادة المسلم لهذا الدين تبدأ بذاته ثم بيته وعائلته ، ثم بأسرته وعشيرته ، ثم بقيامه بدعوة الأمة كلها للإسلام كاملاً فى كل حياتها ثم بإزالة العقبات التى تعوق توصيلها للناس .

معاني الكلمات :

لا تغلوا : لا تفرطوا ولا تتجاوزوا الحد .

كلمته : أوجده - تعالى - بقدرته .

روح منه : ذوروح من أمر به .

سبحانه : تعالى وتقدس عن ذلك علواً

كبيراً . لن يستنكف : لن يستكبر ولن

يرتفع . برهان : دليل قاطع .

نوراً مبيناً : ضياء واضحاً . اعتصموا به :

جمعوا بين العبادة والتوكل على الله .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان حرمة الغلو في الدين وأثره

على عقيدة المؤمن .

٢ - أن نعرف القول الفصل في ألوهية



عيسى وبنوته التي يدعيها النصارى .

٣ - أن نعلم أنه لا صلة بين الله وعباده إلا أنهم عبيد له وهو إله واحد لا معبود بحق سواه .

٤ - أن نستشير أهل العلم في أمور الدين ، وما يعرض لنا من أمور .

المحتوى التربوي :

هذه الآيات من خاتمة سورة النساء تمثل جولة مع النصارى من أهل الكتاب ، في الجولة السابقة معهم أنصف القرآن الكريم عيسى ابن مريم وأمه الطاهرة من افتراءات اليهود وفي هذه الجولة ينصف العقيدة والحق ، وإنصاف عيسى ابن مريم كذلك من غلو النصارى في شأن المسيح عليه السلام ومن الأساطير الوثنية التي تسربت إلى النصرانية السمحة من شتى الأقوام والملل ، التي احتكت بها النصرانية ؛ سواء أساطير الإغريق والرومان وأساطير قدماء المصريين وأساطير الهنود .

والقضية التي يعرض لها السياق قضية « التثليث » ، وما تتضمنه من أسطورة « بنوة المسيح » لتقرير وحدانية الله سبحانه وتعالى على الوجه المستقيم الصحيح ، والثابت أن هذه الافتراءات دخلت على النصرانية على فترات متفاوتة التاريخ ، وقد ظل النصارى الموحدون يقاومون الاضطهادات التي أنزلها بهم الأباطرة الرومان والمجامع المقدسة الموالية للدولة « الملكانيون » .

ويقول صاحب الظلال : « وإذا كان مولد عيسى عليه السلام من غير أب عجباً في عرف البشر ، خارقاً لما ألفوه ، فهذا العجب إنما تنشئه مخالفة المألوف . والمألوف للبشر ليس هو كل الموجود ، والقوانين الكونية التي يعرفونها ليست هي كل سنة الله . والله يخلق السنة ويجريها ، ويصرفها حسب مشيئته . ولا حدّ لمشيئته .

ويعجب الإنسان - وهو يرى وضوح القضية وبساطتها - من فعل الهوى ورواسب الوثنية التي عقدت قضية عيسى عليه السلام هذا التعقيد كله ، في أذهان أجيال وأجيال وهي - كما يصورها القرآن - بسيطة ، وواضحة مكشوفة .

إن الذي وهب لآدم من غير أبوين حياة متميزة عن حياة سائر الخلائق بنفخة من روحه ، هو الذي وهب عيسى من غير أب هذه الحياة الإنسانية كذلك ، وهذا الكلام البسيط الواضح أولى من تلك الأساطير التي لا تنتهي عن ألوهية المسيح لمجرد أنه جاء من غير أب . وعن ألوهية الأقانيم الثلاثة كذلك ! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

لذا فالله يدعوهم للإيمان بالله ورسله - ومن بينهم عيسى بوصفه رسولاً ومحمد بوصفه خاتم النبيين - والانتفاء عن تلك الدعاوى والأساطير ، ويدعوهم لتوحيده « إنما الله إله واحد » تشهد بهذا وحدة الناموس ، ووحدة الخلق ، ووحدة الطريقة كن فيكون ، ويشهد بذلك العقل البشري ذاته . فالقضية في حدود إدراكه . فالعقل لا يتصور خالقاً يشبه مخلوقه ، ولا ثلاثة في واحد ، ولا واحداً في ثلاثة .

ويمضي السياق لتقرير أكبر قضايا التصور الاعتقادي الصحيح ، وهي أن ألوهية الخالق تتبعها عبودية الخلائق ، ويصحح هنا عقيدة النصارى كما يصحح كل عقيدة تجعل للملائكة بنوة كبنوة عيسى ، أو شركاً في الألوهية فهو الله - سبحانه - إله لهم وهم عبيده ، هو خالق لهم وهم من مخلوقاته ، هو مالك لهم وهم ممالك وكلهم سواء في هذه الصلة بربهم ، لا بنوة لأحد ، ولا امتزاج بأحد ولا حلول في أحد .

وهنا يقول القرآن كلمة الفصل في ألوهية المسيح وبنوته بتقريره أن عيسى ابن مريم عبد الله ؛ وأنه لن يستكف أن يكون عبداً لله ، وأن الملائكة المقربين عبيد لله ، وأنهم لن يستكفوا أن يكونوا عبيداً لله ، وأن جميع خلائفه ستحشر إليه . وأن الذين يستكفون عن صفة العبودية ينتظرهم العذاب الأليم . وأن الذين يقرون بهذه العبودية لهم الثواب العظيم .

ومن ثم دعوة إلى الناس كافة - كتلك الدعوة التي أعقبت المواجهة مع أهل الكتاب من اليهود - أن الرسالة الأخيرة تحمل برهانها من الله . وهي نور كاشف للظلمات والشبهات . فمن اهتدى بها واعتصم بالله فسيجد رحمة الله تؤويه ؛ وسيجد فضل الله - يشملها - ؛ وسيجد في ذلك النور والهدى إلى صراط الله المستقيم .

ويقول صاحب الظلال : « والاعتصام بالله ثمرة ملازمة للإيمان به ، متى صح الإيمان ؛ ومتى عرفت النفس حقيقة الله وعرفت حقيقة عبودية الكل له . فلا يبقى أمامها إلا أن تعتصم بالله وحده ، وهو صاحب السلطان والقدرة وحده ، هؤلاء يدخلهم الله في رحمة منه وفضل ، فالإيمان هو الراحة الندية التي تجد فيها الروح الظلال من هاجرة الضلال في تيه الحيرة والقلق والشroud ، كما أنه القاعدة التي تقوم عليها حياة المجتمع ونظامه ؛ في كرامة وحرية ونظافة واستقامة ، حيث يعرف كل إنسان مكانه على الحقيقة فهو عبد الله ، وسيد مع كل من عده .

وتختتم السورة التي بدأت بعلاقات الأسرة ، وتكافلها الاجتماعي أ تختتم بتكملة أحكام الكلالة - وهى على قول أبى بكر ؓ وهو قول الجماعة : ما ليس فيها ولد ولا والد . والحكم الباقي في مسألة الكلالة هنا هو : إن كانت للمتوفى ، الذى لا ولد له ولا والد ، أخت شقيقة أو لأب ، فلها نصف ما ترك أخوها . وهو يرث تركتها - بعد أصحاب الفروض - إن لم يكن لها ولد ولا والد كذلك . فإن كانتا أختين شقيقتين أو لأب فلها الثلثان مما ترك . وإن تعدد الإخوة والأخوات فللذكر مثل حظ الأنثيين - حسب القاعدة العامة في الميراث - والإخوة والأخوات الأشقاء يحجبون الإخوة والأخوات لأب حين يجتمعون .

وتختتم آية الميراث ، وتختتم معها السورة ، بذلك التعقيب القرآنى الذى يرد الأمور كلها لله ، ويربط تنظيم الحقوق والواجبات والأموال وغير الأموال بشريعة الله : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ .
ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن الغلو في الدين مرفوض يعاقب الله تعالى عليه أشد عقاب لأنه يؤدى إلى الكفر .
٢ - أن توحيد الله تعالى بالألوهية والربوبية هو الأصل الذى يلائم فطرة الإنسان ، وأن القائلين بغير التوحيد عليهم أن ينتهوا عن هذا الباطل ؛ لأنهم بذلك يشركون بالله ما لم ينزل به سلطاناً ويقولون على الله ما لا يعلمون ، وإذا كان الله تعالى يعذب العصاة فما بالناس بمن أشرك بالله وقال : إنه ثلاثة ؟!

٣ - أن عبادة الله تعالى وحده هى الأصل . والملائكة والأنبياء عبيد لله لا يمكن أن يستنكفوا عن أن يعبدوا الله بل هم يتشرفون بأن يكونوا عبيداً لله عز وجل .
٤ - أن المسلمين يجب أن يستفتوا أهل العلم في كل أمر من أمور الدين ، فقد كان ذلك خلق الصحابة - رضوان الله عليهم - مع رسول الله ﷺ .

سورة المائدة

معاني الكلمات :

العقود : العهود المؤكدة . بهيمة : كل ذات أربع قوائم في البر والبحر . الأنعام : الإبل والبقر والغنم والماعز . وأنتم حرم : حال إحرامكم بالحج أو بالعمرة . لا تحلوا : لا تنتهكوا . شعائر الله : مناسك الحج . الشهر الحرام : رجب - ذو القعدة - ذو الحجة - المحرم . الهدى : ما يهتدي من الأنعام إلى الكعبة .
القلائد : ما يعلم به الهدى من علامات .
ولا آمين البيت الحرام : ولا تنتهكوا حرمة الحجاج بصددهم عن المناسك .
حللتهم : خرجتم من الإحرام . لا يجزمنكم : لا يحملنكم . شتآن قوم : بغضكم لهم .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - بيان أهمية الوفاء بالعقود مع الله ، ومع النفس ومع الناس .
- ٢ - أن نلتزم أوامر الله ونجتنب نواهيه فيما أحل وحرّم على المسلمين .
- ٣ - أن نتخلق بخلق الوفاء ونتحرى الحلال في كل أمورنا .

المحتوى التربوي :

تستهل هذه السورة في أولى آياتها الأمر بالوفاء بالعقود ، ثم المضي بعد هذا الافتتاح في بيان الحلال والحرام من الذبائح والمطاعم والمناكح . وفي بيان الكثير من الأحكام الشرعية والتعبدية . وفي بيان حقيقة العقيدة الصحيحة ، وحقيقة العبودية - وحقيقة الألوهية . وفي بيان علاقات الأمة المؤمنة بشتى الأمم والملل والنحل ، وفي بيان تكاليف الأمة المؤمنة في القيام لله والشهادة بالقسط والوصاية على البشرية بكتابتها المهيمن على كل الكتب قبلها ، والحكم فيها بما أنزل الله ؛ والحذر من الفتنة عن بعض ما أنزل الله ؛ والحذر من عدم العدل تأثراً بالمشاعر والمودة والشنآن .